

حصون خيبر في الجاهلية وعصر الرسول (صلى الله عليه وسلم)

دراسة تاريخية لأهم الحصون
وعقيدة الحرب والقتال عند اليهود في خيبر

د. سلام شافعي محمود سلام
مدرس التاريخ الاسلامي
كلية الآداب - بنها

توزيع: **المنشآت** للاكاديمية
جلال حزي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ
وَرَاءِ جُدُرٍ ، بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ، تُحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ،
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ » سورة الحشر ، آية ١٤ .

(فهرس موضوعات البحث)

ص

٧	مقدمة البحث
١١	الفصل الأول : حصون خير وقوتها الحربية
		الفصل الثاني : الأسلحة ومعدات القتال التي استخدمها
٥١	اليهود في منطقة الحصون
		الفصل الثالث : عقيدة الحرب وأسلوب التعبئة والقتال
٧٣	عند اليهود في خير
٩٥	قائمة المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة البحث)

خير واحة زراعية ، تقع شمال المدينة المنورة . وتبعد عنها بحوالى ١٦٥ كم ، وترتفع عن سطح البحر بنحو ٨٥٠ م ، وهى من أعظم حرار بلاد العرب بعد حرة بنى سليم ، وامتازت خير بخصوبة أرضها ، ووفرة مياهها ، وجودة محاصيلها ، ورواج تجارتها ، وقوة حصونها .

وخير من القرى العربية التى استوطنها اليهود ، وأقاموا فيها ، وأنشأوا على أرضها سلسلة من التحصينات القوية ، وهى المعروفة بحصون خير التى ذاعت شهرتها فى الجاهلية وعصر النبى ﷺ . وأصبح لها دور حرن وسياسى خطير فى مقاومة الاسلام والتصدى للدولة الاسلامية منذ خروج بنى النضير من المدينة فى ربيع الأول من العام الرابع من الهجرة .

وإذا كان عصر النبى ﷺ قد شهد العديد من المعارك والغزوات ، فإن هذا العصر قد شهد أيضا معركتين حاسمتين ، أولاهما معركة بدر الكبرى سنة ٢ هـ ضد الوثنيين من قريش . أما المعركة الثانية فكانت عند الحصون فى خير فى المحرم / صفر سنة ٧ هـ ضد اليهود ، وكانت خير آنذاك قد صارت أكبر المعاقل الحربية لليهود وأشدّها خطراً على الاسلام فى جزيرة العرب .

ومن ثم كان الدافع إلى البحث فى هذا الموضوع وهو حصون خير وقوتها الحربية مايلى :

أولاً : أن قوة خير فى نهاية العام السادس من الهجرة قد تعاضمت وصارت أكبر قوة فى بلاد الحجاز من حيث العدد والتسليح والتحصينات ، فإذا كانت مكة كبرى مدن الحجاز استطاعت بمساعدة اليهود فى خير أن تحزب حلفاءها فى عشرة آلاف مقاتل فى غزوة الخندق فى العام الخامس من الهجرة ، فإن اليهود فى خير كانوا قادرين على أن يحشدوا عشرة آلاف مقاتل من اليهود

القاطنين في الواحة الخيرية ، والذين يتحصنون في سلسله من الحصون والآطام ، وينطلقون منها لتنفيذ مشروعاتهم السياسية والحربية ، ومن ثم فإن الأمر يتطلب إلقاء الضوء على هذه التحصينات وتلك الحصون . وبيان قوتها الحربية .

ثانياً : أن أطول معركة خاضتها قوات النبي ﷺ حتى المحرم سنة ٧ هـ ، كانت هي المعركة التي دارت عند الحصون في خيبر فيما عرف بغزوة خيبر . ولكن لماذا طال أمد الحرب ؟ إن دراسة في عقيدة الحرب وأسلوب القتال عند اليهود يلقي الضوء على هذا التساؤل .

ثالثاً : أن هناك اضطراباً في الأخبار التي ذكرها ابن هشام نقلاً عن ابن اسحق — إمام أهل السير — فيما يتعلق بترتيب أحداث القتال وفتح الحصون ، وانتقل هذا الاضطراب إلى العديد من مصادر السيرة وبعض مصادر التاريخ الاسلامي العام ، وترتيب هذه الأخبار ترتيباً دقيقاً لن يتم إلا بدراسة شاملة للحصون والآطام في منطقة الحصون في خيبر .

رابعاً : أن هناك تصحيحاً وتحريفاً في أسماء الحصون والآطام في خيبر وردت في مصادر السيرة والتاريخ الاسلامي العام وغيرها من المصادر ، وهذا يتطلب تحقيقاً ليس فقط لأسماء الحصون وإنما أيضاً لمواقع هذه الحصون .

خامساً : أنه لا يوجد مصدر واحد ألم يذكر جميع الحصون في خيبر ، فبينما ذكرت بعض المصادر العديد من الحصون ، نجد البعض الآخر قد أغفل ذكر حصون كانت لها أهميتها الحربية في الدفاع عن الواحة في خيبر . ومن ثم فإن الأمر يتطلب إلقاء الضوء على أكبر عدد من هذه الحصون التي تأسست في الواحة الخيرية ، لتكون أمام الباحثين صورة هي أقرب إلى الواقع .

سادساً : أنه قد ظهرت في المارك التي شهدتها منطقة الحصون في خيبر ، أسلحة متطورة عند اليهود القاطنين فيها ، لم يسبق لعرب الحجاز ونجد على وجه الخصوص أن استخدموها في معاركهم حتى المحرم / صفر سنة ٧ هـ ،

ومن ثم فإن الأمر يتطلب القاء الضوء على هذه الأسلحة المتطورة وغيرها من أدوات القتال الأخرى التى استخدمها اليهود فى منطقة الحصون الخيرية .

سابعاً : أن هذه الحصون أنشأها اليهود فى خير من منطلق عقائدى يهودى توراتى ، ومن ثم فإن الأمر يتطلب القاء الضوء على أثر شريعة الحرب عند اليهود على أسلوب التعبئة والقتال عند اليهود القاطنين فى الحصون الخيرية .

وحتى تتضح أبعاد هذه الدراسة فقد قسمت بحثى هذا إلى ثلاثة فصول على النحو التالى :

الفصل الأول : وفيه تحدثت عن « حصون خير » ومكانتها الحربية فى عيون الجاهليين وبخاصة عند يهود المدينة ، وبعض أهلها ، وكذا عند القرشيين فى مكة ، والقبائل اليهودية وبنى سعد فى فذك ، والغطفانيين فى نجد من رجالات أشجع ، ومرة ، وفزارة وهم حلفاء خير الأقوياء ، ثم تناولت رؤية يهود خير أنفسهم فى هذه الحصون وقدرتها الحربية .

كما تحدثت فى هذا الفصل عن المناطق الرئيسية لمجموعات الحصون فى خير ، ومواقعها الجغرافية ، ثم تناولت بالحديث دراسة تفصيلية شاملة لأشهر الحصون فى الواحة الخيرية ، مع تحقيق وضبط لأسمائها ، مشيراً إلى العمارة الحربية لهذه الحصون واستراتيجية مواقعها ، والمالكين لها من الأسر اليهودية .

أما الفصل الثانى : فيعنى بدراسة « الأسلحة ومعدات القتال التى استخدمها اليهود فى منطقة الحصون » ، مشيراً إلى الأسلحة التى كانت تستخدم فى الدفاع ، والأخرى التى كانت تستخدم فى الهجوم . كما تناولت أصول بعض هذه الأسلحة ، ومراكز صناعتها ، وتطويرها ، وكيفية الحصول عليها ، وطريقة استخدامها ، وبراعة بعض رجال اليهود فى القتال بها ، كما

سجلت أعداد وكميات هذه الأسلحة والمعدات التي وجدت في الحصون وفق ما أشارت إليه المصادر التي بين أيدينا .

أما الفصل الثالث : ففيه تحدثت عن « عقيدة الحرب وأسلوب التعبئة والقتال عند اليهود في خير » ، مشيراً إلى شريعة الحرب عند اليهود ، والعقيدة القتالية ، وأثرها في انشاء الحصون ، وأسلوب التعبئة والقتال عند يهود خير ، ثم تحدثت عن نمو وتعاضم القوة الحربية لليهود في خير ، وأسلوب حشد المقاتلين ، وتكتيل الكتائب ، وصاحب الحرب وصلاحياته ، وصاحب عادية اليهود ومهمته ، مشيراً إلى أشهر قادة الحرب والفرسان اليهود ، كما تحدثت عن دور عشائر اليهود في خير في التعبئة والقتال ، مشيراً إلى نيران الحرب ، والشعارات والنداءات ، والبيات ، والجاسوسية ، والحرب النفسية ، وتسليح الفرسان والمقاتلين ، والتزام اليهود في خير بموقف الشريعة اليهودية من قتل الحرب والزواج أثناء القتال ، والخروج للحرب ، كما أشرت إلى مجلس الحرب في خير ، واستخدام المال في الحروب وقاعدة الأحلاف واستنصار الحلفاء ، وخطة الدفاع وأسلوب القتال في منطقة الحصون ، ولجوء اليهود إلى اغتيال قادة الخصوم ...

ثم انتهت هذا البحث برسم صورة تقريبية لواقع حالة الحرب في منطقة الحصون في خير صبيحة بدء المعارك .

والله الموفق والله الحمد ،،،

دكتور سلام شافعي محمود

٢٣ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ
الاسكندرية في الاثنين
٢ يناير ١٩٨٩ م

الفصل الأول

حصون خير وقوتها الحرية

- (أ) قوة خير وحصونها الحرية في عيون الجاهليين .
- (ب) المناطق الحرية ومواقعها الجغرافية .
- (ج) أشهر الحصون في الواحة الخيرية

- ★ حصون منطقة النطاة .
- ★ حصون منطقة الشق .
- ★ حصون منطقة الكتية .
- ★ حصون منطقة الوطيح .
- ★ حصون منطقة السلام .
- ★ حصون أخرى

(١) قوة خير وحصونها الحربية في عيون الجاهليين

لقد ذاع أمر الحصون الخيرية في أرجاء جزيرة العرب وتعاضمت قوتها الحربية في الفترة ما بين جلاء بنى النضير عن المدينة في ربيع الأول سنة ٤ هـ ، وسقوط الحصون وفتح خير في صفر سنة ٧ هـ . وذلك بفضل جهود القادة الحربيين والسياسيين من زعماء بنى النضير الذين نزلوا منطقة الحصون وقادوها إلى الحرب ضد المسلمين ، وكانوا كما قال فيهم رسول الله ﷺ وهم خارجون من المدينة : « هؤلاء في قومهم بمنزلة بنى المغيرة في قريش »^(١) . أى قادة حرب وأهل سلاح^(٢) فعلى يد هؤلاء الزعماء أصبحت الحصون الخيرية أكبر معقل حرى لليهود في بلاد العرب^(٣) . وقد أجمع المعاصرون من سكان الحجاز في كبريات مدنه ، وكذا القبائل الأعرابية في الحجاز ونجد ، فضلاً عن القبائل اليهودية التى كانت تنزل في فذك وتيماء ووادى القرى ، على جودة الحصون الخيرية ومنعتها ، وكثرة المقاتلين فيها ، ووفرة السلاح وآلات الحرب ، وأنها تفوقت من حيث القوة والمنعة والتحصينات على الآطام والحصون التسع وخمسون التى كانت لليهود في المدينة قبل الجلاء عنها^(٤) ، هذا إلى جانب حلفاء أقوىاء^(٥) ، وقاعدة اقتصادية صلبة تدعمها^(٦) مما جعل المعاصرون ينظرون إلى هذه الحصون وإلى القوة اليهودية في منطقة الحصون نظرة تقدير و إعجاب .

(١) الواقدي : المغازى ، تحقيق مارسدن جونس ، بيروت ، ح ١ ، ص ٣٧٥ .

(٢) عبد الرؤوف عون : الفن الحربي في صدر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٦١ م ، ص ٤٩ .

(٣)

(٤) ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، المعروف بالدرة الثمينة ، تحقيق صالح محمد جمال . الطبعة الثالثة ، مكة المكرمة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٤ .

(٥) الخليلي : انسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، المعروفة بالسيرة الحلبية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ /

١٩٨٠ م ، ح ٢ ، ص ٧٦١ .

ففيهود المدينة الذين لم يجلوا عنها كانوا يعتقدون أن حصون خيبر يستعصى غزوها أو الاقتراب منها، فالواقدي، عمدة كتاب المغازي يسجل نظرة يهود المدينة هذه بقوله : « وكان من كان بالمدينة من اليهود يقولون (للمسلمين) حين تجهز النبي ﷺ إلى خيبر : ما أمنع والله خيبر منكم ! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم ، حصون شامخات في ذرى الجبال ، والماء واتن ، أن يخير لألف دارع ، ما كانت أسد وغطقان يمتنعون من العرب قاطبة إلا بهم ، فأنتم نطيقون خيبر ؟! » (١) . أما أبو الشحم اليهودي وكان ممن يقطن المدينة فقد قال للصحابي عبد الله بن حذرد الأسلمي عندما علم بتجهز المسلمين لغزو الحصون : « أتخسبون أن قتال خيابر مثل ماتلقون من الأعراب ؟ ، فيها — والثورة — عشرة آلاف مقاتل » (٢) . أما زيد بن رفاعة بن التابوت فيذكر لعبد الله بن أبي بن سلول أنه قد توحش لفقد بني النضير ، ولكن يخفف من أحزانه أنهم خرجوا « إلى عز وثروة من حلفائهم ، وإلى حصون منيعة شامخة في رعوس الجبال ليست كما ها هنا » (٣) .

أما المكيون الذين ارتبطوا ذات يوم بحلف مع اليهود فكانوا يشيدون بقوة الحصون وجودتها ويرون أن القاطنين فيها هم « أهل المنعة والعدة في الرجال » (٤) .

أما بنو سعد في فذك فكانوا يثقون في قدرة الحصون على التصدي لمن يقترب منها ، وكانوا على ثقة في قدرة خيبر على غزو المدينة ، وكان رأسهم وبر ابن عليم يقول : « إن بها رجالاً وحصوناً منيعة ، وماءً واتناً ، لا دنا منهم محمداً أبداً ، وما أحرأهم أن يغزوه في عقر داره » (٥) ، أما اليهود في فذك

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ .

(٢) الصالحى : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج ٥ ، تحقيق فهم شلتوت ، وجوده عبد الرحمن هلال ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٨١ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٠٤ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٥٦٣ .

فكانوا يقولون : « بالنظاة عامر ، وياسر ، وأسير ، والحارث ، وسيد اليهود مرحب ، مانرى محمد يقرب حراهم ، إن بها عشرة آلاف مقاتل »^(١) .

أما الأشجعيون خلفاء يهود خيبر ، فيتحدث أحدهم عن قوة منطقة الحصون فيقول : « فيها عشرة آلاف ، وهم أهل الحصون التي لاترام ، وسلاح وطعام كثير لو حصروا السنين لكفاهم ، ماء واتن يشربون في حصونهم ، ما أرى لأحد بهم طاقة »^(٢) ، أما الحارث بن عوف المرى زعيم بنى مرة وشيخها فيقول عن يهود خيبر « إنهم أهل حصون منيعة ... والله ان كانت العرب لتلجأ إليهم فيمتنعون بهم »^(٣) ، « وأنهم أعز يهود الحجاز ، يقرون لهم بالشجاعة والسخاء »^(٤) ...

أما عينة بن حصن الفزارى — المطاع الأحق — كما كان يسميه النبي ﷺ وكان من الجرارين^(٥) . ومن أقوى حلفاء اليهود في خيبر فكان يرى أنهم « أهل الحصون والعدة والثروة » ، « وأنهم أهل الحصون المنيعة » « وأنهم أهل الجدل والجلد » في الحرب^(٦) .

والآن علينا أن نتساءل .. إذا كانت هذه نظرة المعاصرين في عصر الرسالة إلى حصون خيبر وقوتها الحربية ، فما هى (رؤية) وتقدير اليهود أنفسهم في خيبر لقوة الحصون الخيرية وقدرتها الحربية ؟ .

لقد كان اليهود في خيبر يعتقدون في قوة حصونهم ومنعتها ، واستحالة غزوها ، ففى نادى اليهود في خيبر ، وفي مجلس الحرب ، الذى عقدوه في العاشر من ذى الحجة سنة ٥ هـ ، وبعد مقتل رجال بنى قريظة بيومين ، أكد كنانة بن

(١) الصالحى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) الواقدى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٠ .

(٣) الواقدى : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧٢٩ .

(٤) الواقدى : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧٢٩ .

(٥) ابن حبيب : الخبىر ، تحقيق ايلزة شتير ، بيروت ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٦) الواقدى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٧٦ .

أبى الحقيق أحد السادة الرؤساء فى خير على قوة الحصون فى الواحة الخيرية ،
وشدة التحصينات بها ، وقدرتها على التصدى لقوة المسلمين فى المدينة ، كما
قرر ابن أبى الحقيق فى الاجتماع نفسه أن الحصون فى خير أكثر تحصينا وقوة من
الحصون التى تركوها فى المدينة فهو القائل : « وحصوننا هذه ليست مثل
ما هنالك ، ومحمد لا يسير إلينا أبداً لما يعرف »^(١) ، وفى المحرم سنة ٧ هـ ، قال
قادة اليهود فى اجتماع لمجلس الحرب بها ، « أن حصوننا هذه ليست كمثلك ...
هذه حصون فى ذرى الجبال »^(٢) .

وعموماً كان يهود لا يظنون أن هناك قوة تستطيع أن تتغلب عليهم
وتغزو حصونهم ، أو تقترب منها ولو كانت هذه القوة هى قوة المسلمين
المتعاطمة فى المدينة ، فكانوا يعتقدون أنهم فى حصونهم القوة التى لا تقهر ،
لمنعة الحصون وكثرة السلاح والعدد والطعام ، وحتى عندما بلغهم أن النبى
ﷺ سائر إليهم فى المحرم سنة ٧ هـ أعلنوا التحدى ، « وكانوا يخرجون كل
يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ثم يقولون : محمد يغزونا ؟ هيات !
هيات ! »^(٣) وكان ذلك شأنهم ، « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله
فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب »^(٤) .

(١) الواقدى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٣١ .

(٢) الواقدى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٧ ، ٦٣٨ .

(٣) المقرئى : امتناع الاستماع بما للنبى ﷺ من الأبناء والأموال والخفدة والمتاع ، تحقيق محمد التميمى ،

الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

الصالحى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٥ .

(٤) سورة الحشر ، آية ٢ .

(ب) المناطق الحربية ومواقعها الجغرافية

انتشرت الحصون في واحة خيبر ، ولكننا لانعرف عدد هذه الحصون على وجه التحديد ، وكل الذى استطعنا فهمه وتصوره عن قلاع وحصون خيبر ، هو أن خيبر كانت تتألف من عدة مجموعات رئيسية من الحصون والآطام التى أنشأها اليهود في واحة خيبر وعلى أطرافها ، وكل مجموعة من هذه الحصون إنما سميت باسم الحصن الأكبر فيها ^(١) ، وكانت هذه الحصون والآطام غالباً ما تحمل اسم رجل أو زعيم مهم من رجالات اليهود ^(٢) أو اسم عشيرة يهودية ^(٣) أو اسم واد من أودية خيبر ^(٤) أو اسم جبل من جبالها ^(٥) أو يحمل اسماً له مدلوله عند اليهود ^(٦) .

ولقد كان انشاء الحصون وتقويتها وتسليحها واعدادها بالمقاتلين والقتال من أبراجها ومن فوق الأسوار ، ومن وراء الجدران ، إذا ماتعرضت منطقة الحصون هو أساس العقيدة القتالية وخطط الحرب عند اليهود في خيبر ، وهو الأسلوب القتالى الذى يفضلونه ^(٧) ، لأنه غالباً ماينفى بأغراض وأهداف القتال دفاعاً عن الواحة الخييرية وقراها ، إلا أنهم في بعض الأحيان كانوا يلجأون إلى الاصحار والخروج إذا ما اضطروا إلى ذلك ، كما كانوا في حالات الهجوم

(١) سيف الدين سعيد : الحركات العسكرية للرسول الأعظم في كفتى الميزان ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ح ٢ ، ص ٣٨٤ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ح ٢ ، ص ٦٤٥ .

(٣) ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب . القاهرة ، ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م ، ص ١١٦ .

(٤) الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٠٢ هـ / م ، ح ٢ ، ص ٤٥ .

(٥) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوغ ، الرياض ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ص ٣٥ .

(٦) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٧) سفر التثنية : الاصحاح العشرون ، فقرة ٢٠ .

يتخذون من الحصون قاعدة لانطلاقهم ثم ملجأً يحتمون بداخله إذا لم يحقق الهجوم أهدافه وولوا مدبرين^(١) .

ومن ثم قسم اليهود في خير أرض الواحة إلى مناطق حربية حسب استراتيجية مواقع هذه الحصون التي تدافع عن قرى الواحة ، فالذى يفهم من كلام الواقدي أن أرض الواحة في خير كانت تنقسم إلى خمسة مناطق عسكرية ، تتبع كل منطقة منها عدداً من الحصون . وهذه المناطق هي^(٢) :

أولاً : منطقة النطاة : وهي خط الدفاع الأول عن الواحة^(٣) ، ومن أهم حصونها التي شهدت قتالاً في معارك غزوة خير : حصن ناعم ، وحصن الصعب ، وقلعة الزبير ، ودار بني قمة .

ثانياً : منطقة الشق : ومن حصونها الحربية : حصن أنى ، وقلعة (سموان) (سمران)^(٤) .

ثالثاً : منطقة الكتيبة : وأعظم حصونها : حصن القموص^(٥) .

رابعاً : منطقة الوطيح : وأهم حصونها : حصن الوطيح^(٦) .

(١) الشيباني : شرح كتاب السير الكبير ، باملاء محمد بن أحمد السرخسي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٧١ م ، ج ١ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) عوض الشهري مرويّات غزوة خير ، جمع وتحقيق ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٦٩ .

(٣) باثميل : غزوة خير ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ١٨٣ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ج ٤ ، ص ١٩٨ .

(٥) الحرّبي : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات البجامة ، الرياض ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٥٤٠ .

(٦) البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواقع ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ج ٤ ، ص ١٣٨٠ .

خامساً : منطقة السلام : ومن حصونها المنيعة : حصن السلام ، وهو أقواها (١) .

هذا فضلا عن عدد آخر من الحصون كان موجوداً في الواحة الخيرية ، إلا أن المصادر العربية لم تذكر لنا إلا المشهور من تلك الحصون التي شهدت قتالاً أثناء غزوة خيبر ، كما كانت توجد حصون أخرى على مشارف الواحة في خيبر كانت بمثابة مواقع حربية دفاعية متقدمة ، فضلاً عن وجود حصون أخرى لحماية الرعاة وماشيهم إذا ما اضطروا إلى ذلك (٢) .

ونتساءل الآن عن كيفية التعرف على مواقع هذه المناطق وحصونها ؟
والاجابة : انك إذا وقفت على حصن القموص في منطقة الكتيبة والمشراف على سائر منطقة الحصون في خيبر فستجد :

شمالك مع ميل يسير إلى الشرق منطقة الشق ، وشمال شرق تقع منطقة النظاة والتي تصب في الشق ، وبها بدأ النبي ﷺ في الفتح في المحرم سنة ٧ هـ / ٦٢٨ م ، وإلى الجنوب مع الامتداد نحو الغرب تقع السلام ، وجنوب جبال الصبء وإلى الجنوب الغربي يقع الوطيح . وفي الوسط تقع الكتيبة التي على ظهرها حصن القموص أعظم حصون خيبر على الإطلاق .

وتحديد هذه الأماكن من حيث قربها من القموص بالتقريب : تبعد منطقة الوطيح عنه بحوالى ٢ كم ، ثم وادى الشق ويبعد عنه حوالى ٣ كم ، ثم النظاة وسالم ويبعدان حوالى ٤ كم (٣) .

ودراسة تفصيلية لهذه الحصون تلقى الضوء ساطعاً على المناطق الحربية وحصونها في خيبر .

(١) ابن الدبع : حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ﷺ ، تحقيق عبد الله إبراهيم الانصاري ، دمشق ، ج ٢ ، ص ٦٤١ .

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

(٣) عوض الشهري : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(ج) أشهر الحصون في الواحة الخيرية

(أولاً) حصون منطقة النطاة

أنشأ اليهود في خير العديد من الحصون بوادي النطاة^(١) ، لم تكشف الدراسات الأثرية الأولية بعد عن عددها ، ولم تقدم لنا مصادر التراث العربى بياناً دقيقاً محدداً ، وإن كانت قد ذكرت الأشهر من تلك الحصون ومنها :

١ - حصن (ناعم) :

أشهر حصون وادي النطاة على الإطلاق ، ورد بهذا الاسم (ناعم) عند كتاب السيرة ومصنفى المغازى^(٢) كما ورد بهذا الاسم (ناعم) فى بعض

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

— ابن سعد : الطبقات الكبرى ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٧٧

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ .

— ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخران ، دار أحياء التراث العربى ، بيروت

ج ٣ ، ص ٣٤٤ .

— ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٧٧

— ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار خلفاء ، تحقيق السيد عزيز ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ،

بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٣٠٠ .

— ابن حرم : جوامع السيرة ، تحقيق احسان عباس وناصر الدين الأسد ، دار المعارف بمصر ،

ص ٢١٢ .

— السهيل : الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ،

القاهرة ١٣٩٠ هـ / ط ١٩٧٠ م ، ج ٦ ، ص ٥٠٢ .

— ابن سيد الناس : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمالى والسير ، دار المعرفة ، بيروت ،

ج ٢ ، ص ١٣٢

— ابن كثير : السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٣٧٥ .

— المقرئى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

— الخليلي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣٢

— الصاخي : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٨

مصادر الجغرافيين المسلمين^(١)، وورد بالاسم نفسه في مصادر التاريخ الاسلامي العام^(٢)، وغيرها من كتب التراث^(٣).

وقد ورد هذا الحصن في كتاب (المغازي) للواقدي باسم حصن (ناعم) مرة^(٤). وورد عنده مرة أخرى باسم حصن (النطاة)^(٥)، وإليه أشار ابن دريد (ت ٣٢١ هـ / ١٩٣٣ م) فقال في (الجمهرة) : « والنطو : لغة البعد ، يقال بيننا وبينهم نطو بعيد ، وأحسب أن (نطاة) وهو اسم أطم بخير من هذا اشتقاقه »^(٦). أما صاحب (إنسان العيون) فيرى أن (دار بنى قمة) التي كانت أول أطم في النطاة سقوطا في يد المسلمين ماهي إلا (حصن

(١) ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ .
— الحميري : الروض المعمار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، الطبعة الثانية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، ص ٥٧١ .

(٢) ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم العمري ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٨٢ .
— ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٤٨ .
— النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ، ج ١٧ ، ص ٢٥١ .
— ابن كنير : البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨ .
— ابن خلدون : العبر وديوان المتبدأ والخير ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٧ م ، ج ٤ ، ص ٧٩٥ .

(٣) ابن شبة : تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهم شلتوت ، دار الأصفهاني ، جدة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

— الفيروز آبادي : المعجم المطبوع في معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر ، ط ١ ، منشورات دار اليمامة الرياض ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ١٣٤ .
— العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ، تحقيق محمد الطيب الأنصاري ، ط ٤ ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ص ٣١٤ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ .

(٥) الواقدي : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ .

(٦) ابن دريد : جمهرة اللغة ، ج ٣ ، ص ١١٩ .

ناعم) (١)، على اعتبار أن هذا الحصن بإجماع الروايات كان أول حصون وادى النطاة سقوطاً في يد المسلمين في غزوة خيبر، أما المؤرخ الجغرافي (اليقوى)، فقد أسقط اسم (حصن ناعم) من قائمة حصون اليهود بخيبر وإن كان قد ذكر أن «من حصونهم... النطاة» (٢). أما ياقوت الحموي (٣) والديار بكري (٤) فقد ذكرا الاسم معاً: (حصن ناعم) و (حصن النطاة) على اعتبار أنهما حصنين من حصون النطاة، وأن أياً منهما حصن قائم بذاته.

على أنه من خلال دراستنا في المصادر التاريخية والجغرافية فيما يخص هذا الحصن، وتحقيقاتنا لأسماء الحصون ومواقعها، ولتفاصيل المعارك والأحداث التي وقعت عندها أو قريباً منها، اتضح لنا أن (حصن ناعم) أشهر مجموعة الحصون اليهودية في وادى النطاة، وأنه عرف بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسه (ناعم) اليهودي، وكان من أكابر اليهود الأغنياء في خيبر، وكان يمتلك مجموعة من الحصون والآطام في هذا الوادى، وكان هذا الحصن موضوع الدراسة هو أكبر حصون تلك المجموعة، وأكثرها تحصيناً وقوة، فكان هو الأكثر شهرة بين الحصون التي يمتلكها (ناعم)، ومن ثم انفرد هذا الحصن الأشهر (ناعم) بأن أطلق عليه اسم مؤسس ومالك تلك المجموعة من الحصون، وينفرد المؤرخ الأثرى صاحب (المغازى) بالقاء الضوء على هذا الحصن عندما يقول «وحصون ناعم عدة» (٥)، «وناعم يهودى، وله حصون ذوات عدد، فكان هذا منها» (٦).

(١) الحلبي: المصدر السابق، ح ٣، ص ٧٤٠.

(٢) اليقوى: تاريخ اليقوى، ح ٢، ص ٥٦.

(٣) ياقوت: المصدر السابق، ح ٢، ص ٤٠٩.

(٤) الديار بكري: المصدر السابق، ح ٢، ص ٤٥.

(٥) الواقدي: المصدر السابق، ح ٢، ص ٦٥٢.

(٦) الواقدي: نفس المصدر، ح ٢، ص ٦٤٥.

ولما كان (حصن ناعم) أقوى حصون وادي النطاة بخير . وأكثرها شهرة ، فقد عرف أيضاً باسم (حصن النطاة) نسبة إلى وادي النطاة الذي يقع على أرضه ، ويقف حارساً لأمواله ^(٢) .

وكان (حصن ناعم) يقع فوق مرتفع من الأرض ، قوى البناء ، ويزيد من قوته وتحصينه أن « له جدر دون جدر » ^(٣) ، وينفرد الشيباني في كتابه (السير الكبير) فيذكر عددها ، « وأنها ثلاثة جدر » ^(٤) عملها أكابر اليهود القاطنين في الحصن « ولا تطيقها الخيل » ^(٥) ، إذ تشكل مانعاً قوياً يعوق حركة الخيالة والفرسان المهاجمين ، كما كان للحصن بابان قويان ، يصعب على المهاجمين اقتحامهما ^(٦) .

والحصن في موقع استراتيجي هام ، ويشكل خط الدفاع الأول ، الأكثر مناعة وتحصيناً وتسليحاً في منطقة وادي النطاة ^(٧) ، وكان من السعة بحيث يستوعب بضعة آلاف من المقاتلين اليهود المزودين بأسلحة القتال المعروفة آنذاك ^(٨) .

وعند هذا الحصن زرع اليهود غابة من النخيل على مقربة من أسواره وأبراجه ، ترقد عند أقدام الحصن ، وتلتف حوله ، لتشكل بأعدادها الضخمة ، وكثافتها الكبيرة ، مانعاً جيداً يعرقل تقدم المغيرين ، وعائقاً يفسد

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤٨ ، ٦٥٩ ، ٦٧٤ .

(٢) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٦٣ .

(٣) الشيباني : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٧٢ .

(٤) الشيباني : نفس المصدر ، ح ١ ، ص ٧٣ .

(٥) البيهقي : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ ، ح ٤ ، ص ٢١٦ .

(٦) باشميل : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ، ١٨٣ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٠ ، ٦٥١ .

— المقريري : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٣٧ .

مناورات الفرسان المهاجمين ، وتشكل قياداً على حركة مايركبون من الخيول التي تحتاج إلى مساحة فسيحة للكر والفر ، أما ارتفاع أشجار النخيل وتناول رؤوسها في عنان السماء فتجعل الرؤية متعذرة على المهاجمين لأسوار الحصن ، وتمنع آلات رميهم من نبال وحراب وسهام من الوصول إلى المدافعين في الأبراج وخلف الأسوار ، أما تخمّر النخل -وهي النخل المجتمع بعضه على بعض- فكانت بمثابة مخاض يكمن فيها بعض أهل الحصن لينقضوا على عدوهم عندما يقرر المبيت أو العسكرة أمام أسوار الحصن^(١) ، كذلك غرس يهود النطاة في منطقة (حصن ناعم) « عشرات أصلها كمثل أصل الفحل من النخل ، وأفنان منكرة »^(٢) لتشكل قيوداً على حركة المهاجمين عند القتال مبارزة أمام الحصون ، كما وضع سكان هذا الحصن عند أسنواره رضماً وأكواماً من الحجارة^(٣) لتكون بالدرجة الأولى ساتراً للمدافعين عن الحصن إذا ما اضطروا إلى الخروج منه لقتال عدوهم ، كما استخدموها لقذف عدوهم من فوق الأبراج .

وتميز هذا الحصن بأن الأرض الذي تحيط به أرض نر لاتصلح لعسكرة المهاجمين ، لأن التربة رخوة والماء قريب من سطح الأرض مما يعوق حركتهم ، فضلاً عن أن المنطقة وخيمة ، شديدة الحر وعالية الرطوبة بسبب وجود المستنقعات التي تؤدي إلى تفشي وباء الحمى المعروفة بـ (حمى النطاة) أو (حمى خبير) ، مما جعل المهاجمين يتجنبون المبيت في تلك المنطقة ، كما أن العلاقة بين الأرض النر ، وأشجار النخيل من جهة ، والحصن المدجج بالسلاح والمقاتلة من جهة أخرى تمكن أهل الحصن من محاصرة المغيّرين وإبادتهم إذا سولت لهم أنفسهم التمرّكز أمام أسوار الحصن^(٤) .

(١) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٦

— الحلبي المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٣١

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٥ ، ٦٥٦

(٣) ابن هشام : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٤٩

(٤) الصالحى المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٦

ولما كان هذا الحصن يعد خط الدفاع الأول ليس في منطقة وادي النطاة وحدها بل في خير كلها ^(١) ، فقد أهتم بتحسينه والتمركز فيه أشهر الفرسان اليهود الخيابة الذين يتتسبون إلى أصول حميرية يمنية الذين كانوا قد تهودوا ، مثل عشيرة آل مرحب ^(٢) الذين عرفوا بين كل سكان منطقة الحصون بخير بأنهم « أهل الجد والجد » ^(٣) ، وأنهم مهرة الرماة ^(٤) ، وأنهم كونوا كتائب منهم وعاديات قاتلت بشراسة مما دفع النبي ﷺ — بناء على مشورة الحباب بن المنذر بأن يأمر بقطع أربعمئة من النخل الذي أمام الحصن ، ليفت في عضد اليهود ، ويؤثر في معنوياتهم ^(٥) ، إلى جانب إيجاد ميدان يقاتل فيه المسلمين يهود الحصن ، وقبل أن يسقط هذا الحصن في يد المسلمين في الحرم سنة ٧ هـ يذكر الواقدي أن قادة هذا الحصن من أكابر اليهود واشرافهم قد تقدموا كتائب اليهود المقاتلة في وادي النطاة ، وأنهم سقطوا في ساحة القتال ^(٦) ، وأنه أمام أسوار هذا الحصن « قتل الحارث ، ومرحب ، وأسير ، ويسر ، وعامر ، مع ناس من اليهود كثير » ويقول الواقدي : « ولكن إنما سمي هؤلاء المذكورين لأنهم كانوا أهل شجاعة ، وكان هؤلاء في حصن ناعم جميعاً » . وكان هذا الحصن أول الحصون التي سقطت في يد المسلمين في غزوة خير ^(٨) .

٢ — دار (بنى قمة) :

هي من أطام اليهود بوادي النطاة وتقع في نطاق حصن ناعم ، لم يرد لها

(١) باشميل : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) ابن هشام : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٤٨ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٦ .

(٤) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٤٣ .

(٥) الحلبي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٣١ .

(٦) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٤ — ٦٥٧ .

(٨) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٥٧ ، ٦٥٨ .

ذكر عند كتاب المغازى الأول كابن اسحق ، وابن هشام ، والواقدي ، وابن سعد ، وانفرد بذكرها البكري في معجمه ، ومصدر ما كتبه عنها من كتاب السكوني (أبو عبيد)^(١) ، ثم ورد ذكرها في (السيرة الحلبية)^(٢) ، وكذا عند الديار بكري في مصنفه (تاريخ الخميس)^(٣) .

وتنسب هذه الدار لأصحابها من (بنى قمة) وهم من الأسر اليهودية العريقة في خير وكانوا أصحاب ثراء وغنى^(٤) وعند فتح خير كانت هذه الدار (الأطم) منزلاً لياسر اليهودي أخى مرحب ، وهما من أشرف خير ، وكانت أول دار استولى عليها المسلمون في خير في انحرمت سنة ٧ هـ^(٥) ، وكانت من الآطام التي جمع فيها أصحابها الأثرياء كميات هائلة من الغلال والثمار ، وبخاصة الشعير والتمر ، وهي التي قالت فيها عائشة : « ماشع رسول الله ﷺ من خير الشعير والتمر حتى فتحت دار بنى قمة »^(٦) ، وهي أول دار (أطم) سقطت في يد المسلمين تحت وطأة الحصار الذي فرضوه على حصون ناعم بالنطاة^(٧) .

٣ - حصن (الصعب بن معاذ) :

من حصون وادى النطاة ، ومن الحصون الشهيرة المنيعة القوية التحصين بتلك المنطقة^(٨) ، وتأتى أهميته من حيث القوة الحربية بعد حصن ناعم^(٩) كما يعد بمثابة خط الدفاع الثانى عن منطقة النطاة^(١٠) .

(١) البكرى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٢٣

(٢) الحلبى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٤٠

(٣) الديار بكري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٣

(٤) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١١٦

(٥) البكرى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٢٣

ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٦٥

(٦) الحلبى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٤٠

(٧) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٦٧

(٨) ناشييل : المرجع السابق ، ص ١٨٣

(٩) ناشييل : نفس المرجع ، ص ١٨٤

ورد بهذا الاسم (الصعب بن معاذ) عند الواقدي (١) ، وابن هشام (٢) وابن سعد (٣) ، وابن حزم (٤) وابن عبد البر (٥) ، والبيهقي (٦) والكلاعي الأندلسي (٧) ، والسهيلي (٨) ، وابن كثير (٩) ، والمقرئزي (١٠) والبرهان الحلبي (١١) ، والصالحى (١٢) ، والديار بكري (١٣) من كتاب السير والمغازى . كما ورد ذكر حصن (الصعب بن معاذ) فى بعض مصادر التاريخ الاسلامى العام (١٤) بينما لم يرد لهذا الحصن ذكر فى المصادر الجغرافية العربية .

وحول اسم حصن (الصعب بن معاذ) يرى اسرائيل ولفنسون أن (معاذ) هذا « لم يكن علماً لشخص كما تُشعر بذلك تسمية الحصن به ، بل

-
- (١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦١ .
 - (٢) ابن هشام : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٤٦ .
 - (٣) ابن سعد : المصدر السابق ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ٧٧ .
 - (٤) ابن حزم : المصدر السابق ، ص ٢١٣ .
 - (٥) ابن عبد البر : الدرر فى اختصار المغازى والسير ، تحقيق شوق ضيف ، ط ٢ ، دار المعارف ، ص ١٩٧ .
 - (٦) البيهقي : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٢٣ .
 - (٧) الكلاعي الأندلسي : الاكتفاء فى مغالز رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق مصطفى عبد الواحد القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ، ح ٢ ، ص ٢٥٦ .
 - (٨) السهيلي : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٥٠٤ .
 - (٩) ابن كثير : السيرة النبوية ، ح ٣ ، ص ٣٧٥ .
 - (١٠) المقرئزي : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٣٩ .
 - (١١) الحلبي : المصدر السابق ح ٣ ، ص ٧٤١ .
 - (١٢) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٩ .
 - (١٣) الديار بكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٤ .
 - (١٤) النويرى : المصدر السابق ، ح ١٧ ، ص ٢٥١ .
- ابن كثير : البداية والنهاية ، ح ٤ ، ص ١٩٨ .

تعرف الصخرة في اللغة العبرية باسم معاذ^(١) ، وقد كان الحصن يقع على صخرة عالية كما يذكر صاحب « تاريخ الخميس »^(٢) .

والحصن كان ملكاً لسلاّم بن مشكم القائد العسكري لليهود في خيبر وهو « صاحب حريمهم »^(٣) ، ووصف هذا الحصن بأنه « كان حصناً منيعاً »^(٤) على رواية أنى اليسر ، وهو واحد من المجاهدين المسلمين الذين شهدوا غزوة خيبر^(٥) ، فعمارته قوية ، وجدرانها غاية في التحصين^(٦) ، وله مداخل^(٧) ، « وله جدر دون جدر »^(٨) أى أسوار خلف أسوار^(٩) ، كما كان في الحصن مخازن للسلاح فيها « آلة كثيرة للحرب ، منجنیق ، ودبابات ، وعدة »^(١٠) ، ومن الجدير بالذكر أنه من خلال دراستنا لمنطقة الحصون ، تبين لنا أن حصن الصعب هذا ، إلى جانب الحصن الأول في النطاة وهو (حصن ناعم) ، قد تميزا ، من بين كل حصون خيبر جميعها ، بدعم قدراتهما القتالية بحشدتهما بآلات المنجنیق والدبابات كأسلحة حربية متقدمة ، والسبب في ذلك أن حصون النطاة أعدها اليهود لتكون خط الدفاع الأول عن الواحة الخيرية^(١١) إذ « جردوها للمقاتلة وحولوا الذرارى إلى (حصون) الشق والكتيبة »^(١٢) .

(١) ولفسون : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) الديار بكرى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٠ .

(٤) الصالحى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٩ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤١ .

(٦) باثمیل : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤١ .

(٨) المقرئى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٩) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٣ .

(١٠) باثمیل : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(١١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٤ .

(١٢) باثمیل : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(١٣) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

كما كان في الحصن مخازن واسعة وضع فيها اليهود كميات كبيرة من الأطعمة « من الشعير ، والتمر ، والسمن ، والعسل ، والزيت ، والودك » والعلف ، إلى جانب كميات كثيرة « من البز ، وآنية من نحاس وفخار كانت اليهود تأكل فيها وتشرب » « وخواري سكر لا يطاق حملها » ، كما كان في مخازن الحصن أرفف وضعت عليها بعض مواد الطعام من الثوم والثريد (١) .

كما كان في الحصن مخاليء بدفن فيها سكان الحصن نفائس أموالهم (٢) كما ضم الحصن حظائر واسعة لماشية أهل الحصن « وكانت غنما كثيراً وبقراً وحمراً » ، كما اشتمل الحصن على مخارن أخرى احتوت على كميات كبيرة من علف الدواب وأحمال الخشب (٣) .

وكان للحصن قلاع ملحقة به للدفاع عن أهله .

كما كان يوضع فيها بعض أموال أهل الحصن ، فيذكر الواقدي أنه قد وجد في « أطم من حصن الصعب بن معاذ من البز عشرون عكماً محزومة من غليظ متاع اليمن ، وألف وخمسمائة قطيفة ... وعشرة أحمال خشب ... وخواري سكر ، وزقاق خمر » (٤) ، « فما بخير حصن أكثر طعاماً وودكاً منه » (٥) ، « وكان أعظم حصن بها غنى » (٦) ، ولا تنسى أن هذا الحصن كان لسلام بن مشكم التاجر اليهودي المشهور وأحد قادة الحرب المرموقين في خير (٧) .

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ .

— المقرئ : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٤١ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٥ .

(٣) المقرئ : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٤١ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٤ ، ٦٦٥ .

الخللي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤٣ .

(٥) السهلي : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٥٠٤ .

(٦) الذهبي : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام — المغازي ، تحقيق محمد محمود حمدان ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٣٤٨ .

(٧) ولغفسون : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

ونظراً لأهمية (حصن الصعب) من الناحيتين الدفاعية والاستراتيجية في منطقة وادى النطاة ، فقد أعد اليهود عدداً من الكتائب الحربية المدججة بأحدث ما في ذلك العصر من سلاح^(١) ، يتقدمها قادة أكفاء ، للدفاع عن الحصن وحماية المنطقة التى يشرف عليها. وقد قدرت أعداد المقاتلين فى هذا الحصن فى الحرم من سنة ٧ هـ بخمسمائة مقاتل بين فارس وراجل^(٢) .

ويبقى أن نشير إلى أن هذا الحصن شهد مجلساً للخرب من أعيان اليهود برئاسة « صاحب حريم » سلام بن مشكم ، مالك هذا الحصن ، لإعداد خطط القتال ، للدفاع عن الواحة الخيرية ، عندما فوجئت بقوات المسلمين أمام حصون النطاة^(٣) .

٤ - حصن (الزبير) :

هو « حصن يقال له قلعة الزبير »^(٤) ، وقد ورد بهذا الاسم عند الواقدي^(٥) وابن هشام^(٦) ، وابن سعد^(٧) ، وعرف باسم (قلعة الزبير) عند البيهقي^(٨) ، وابن كثير^(٩) ، والمقرئى^(١٠) ، والديار بكرى^(١١) ، كما ورد باسم

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٤ .

(٢) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٥٨ ، ٦٥٩ .

(٣) الديار بكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٥ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٦ .

— البيهقي : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٢٤ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٦ .

(٦) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩١ .

(٧) ابن سعد : المصدر السابق ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ٧٧ .

(٨) البيهقي : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٢٤ .

(٩) ابن كثير : السيرة النبوية ، ح ٣ ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(١٠) المقرئى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٤١ .

(١١) الديار بكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٧ .

(حصن قلة) عند النويرى ، الذى ذكر أن هذا الحصن المنيع « كان اسمه حصن قلة لكونه على رأس جبل »^(١) ، وهو مذهب إليه كل من البرهان الحلبي فى (انسان العيون) ، والصالحى فى (سيرة خير العباد) اللذين أشارا إلى أن هذا الحصن عُرف أيضا باسم (حصن الزبير) لوقوعه فى سهم الزبير بن العوام^(٢) بالخويع^(٣) ، من النطاة .

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نجد أنفسنا أمام مفاجأة كبيرة بالنسبة لدراستنا لهذا الحصن ، إذ يتضح لنا بما لا يدع مجالا للشك أن هذا بعينه هو (حصن مرحب) اليهودى فارس خيابر المشهور ، فالحرى صاحب (المناسك) يذكر ما نصه : « وفى نطاة حصن مرحب وقصره وقع فى سهم الزبير »^(٤) ، وحددت بعض المصادر أن سهم الزبير بالخويع من النطاة^(٥) والخويع كما يعرفه ياقوت : « جبل أو موضع بنطاة خير معروف ، والخويع فى لغتهم جبل »^(٦) ، والخويع لغة : متعرج الوادى ، ويقال جاء السيل فخويع الوادى^(٧) أى كسر جانبيه^(٨) .

ومن ثم فإن (حصن الزبير) (حصن قلة) (حصن مرحب اليهودى) يقع تحديداً فى أعلى قمة الجبل^(٩) بالخويع من نطاة خير^(١٠) حيث وقع فى سهم

(١) النويرى : المصدر السابق ، ح ١٧ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٥ .

(٢) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩١ ، ٢٤٧ .

الحلبى : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٧٤٢ .

(٣) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٩١ .

ابن حزم : المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

(٤) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

(٥) ابن حزم : المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

(٦) ياقوت : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٠٦ .

(٧) الفيروزابادى : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٨) المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٠٦ .

(٩) النويرى : المصدر السابق ، ح ١٧ ، ص ٢٥٥ .

الحلبى : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٧٤٢ .

(١٠) ابن حزم : المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

الزبير بن العوام بعد فتح خيبر ^(١) ، وهو ثالث الحصون الحربية الشهيرة الشديدة التحصين التي أنشئت لحماية هذا الوادي (نطاة خيبر) ^(٢) . فالواقدي المؤرخ الأثرى الذي زار المشاهد كلها ^(٣) يصف مناعة الحصن وقوته بقوله « وهو حصن منيع ، في رأس قلة ، لا يقدر عليه الخيل ولا الرجال لصعوبته وامتناعه » ^(٤) وذلك لوعورة المسالك المؤدية للحصن ، ولوقوع هذه المسالك مكشوفة في متناول مرمى سهام المدافعين من مقاتلة أهل الحصن ، وكان للحصن أبراج تشرف على الطرق والمسالك الوعرة المؤدية إليه وتتحكم فيها ^(٥) ، كما كان للحصن أبواب قوية يصعب على المهاجمين اقتحامها وبخاصة عندما يحكم يهود الحصن إغلاقها وحراستها عندما يواجهون الخطر ، كما كان ليهود الحصن شربا ودبولا — جداول ونهيرات وقنوات — تحت الأرض تحمل الماء إلى داخل الحصن ، من منابع وعيون خفية تقع خارج الحصن ، وقد أخفوا معالمها ، يخرجون بالليل — عندما يتعرض الحصن للحصار — فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعته فيمتنعون من عدوهم ^(٦) ، ومن الجدير بالذكر أن الواقدي يصف كتائب يهود التي كانت مكلفة بالدفاع عن هذا الحصن بأنهم « كانوا أحد اليهود وأهل النجدة » كغيرهم من يهود النطاة ^(٧) ، كما كان هذا الحصن يعد خط الدفاع الأخير الذي أعده اليهود للدفاع عن منطقة وادي النطاة ^(٨) .

(١) الحربي : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

البكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ .

(٢) باشميل : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٣) مارسدن جونز . مقدمة تحقيق كتاب المعاري للواقدي ، ح ١ ، ص ١٥ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٦ .

وقلة كل شيء : رأسه ، والقلة أعلى الجبل ، وقلة كل شيء أعلاه — ابن منظور : لسان العرب ،

مادة (قلل) ، ص ١٥٤ .

(٥) باشميل : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٦) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٦ .

(٧) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٦٧ .

(٨) المقرئ : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٤١ .

(ثانياً) حصون منطقة الشق :

وحصون الشق عديدة ، ففي هذا الوادى من خير أنشأ اليهود حصوناً وقلاعاً لحماية هذا الوادى (١) .

١ - حصن (أبى) :

بضم الهمزة وفتح الياء ، مصغر (٢) ، وهو من حصون منطقة وادى الشق ، التى أعدها يهود للدفاع عن هذا الوادى ، وهذا الحصن هو أول الحصون المنيعة التى سقطت فى يد المسلمين فى قتال خير بعد أن فرغوا من حصون النطا (٣) .

وقد ورد (حصن أبى) بهذا الاسم فى (المغازى) للواقدى (٤) ، وفى (الطبقات) لابن سعد (٥) ، وفى (دلائل النبوة) للبيهقى (٦) ، وفى (السيرة) لابن كثير (٧) وعند آخرين من كتاب السيرة (٨) ، كما ورد بهذا الاسم (أبى) فى بعض مصادر التاريخ الإسلامى العام (٩) بينما لم يرد لهذا الحصن ذكر عند الجغرافيين المسلمين .

(١) البيهقى : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٢٤ .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ح ٤ ، ص ١٩٨ .

(٢) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٤٧ .

(٣) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٧ .

(٤) الواقدى : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(٥) ابن سعد : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٧ .

(٦) البيهقى : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٢٤ .

(٧) ابن كثير : السيرة النبوية ، ح ٣ ، ص ٣٧٦ .

(٨) المقرئى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٤٢ .

الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٤٧ .

الديار بكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٧ .

(٩) النويرى : المصدر السابق ، ح ١٧ ، ص ٢٥١ .

ابن كثير : البداية والنهاية ح ٤ ، ص ١٩٨ .

و (حصن أوى) يقع فوق رأس جبل بمنطقة الشق في خير ، ويتضح من سير المعارك التي دارت عند هذا الحصن ، أن الحصن كانت له أبواب قوية متينة ، وأسوار عالية يصعب على المهاجمين تسورها ، وزاد في مناعته أنه كان يقع فوق قمة جبل وعمر المسالك ^(١) ، وجدره — وكان له أكثر من جدار — تزيد من قوة تحصيناته ^(٢) ، كما كان في الحصن مخازن للأثاث والأمتعة والطعام ، كما كان الحصن يضم حظائر للماشية ^(٣) .

٢ — قلعة (سمران) :

وقد اقترنت بهذا الحصن قلعة شهيرة يقال لها (سمران) ^(٤) (سموان) ^(٥) (سمران) ^(٦) ، كانت تقع في نطاق (حصن أوى) ، وتابعه لأهله ، قد شيدها يهود على رأس جبل بخير يقال له (سمران) (سموان) (سمران) ^(٧) ، وكانت قلعة شديدة التحصين ، كما كانت تتميز بموقع استراتيجي حرجى ممتاز ، وتشكل بالنسبة لحصن أوى موقعاً دفاعياً بالغ الأهمية ، إذ أن سقوطها في يد المهاجمين يعني سقوط الحصن نفسه ^(٨) .

(١) باشميل : المرجع السابق ، ص ٢١٨ ، ٢٢١ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٨ .

(٣) الحلبي : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٧٤٣ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٨ .

(٥) البيهقي : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٢٤ .

النويري : المصدر السابق ، ح ١٧ ، ص ٢٥٦ .

ابن كثير : البداية والنهاية ح ٤ ، ص ١٩٨ .

الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٤٧ .

(٦) المراغى : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ، الطبعة الثانية ، المدينة المنورة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٦٦ .

غيث البلادى : معجم معالم الحجاز ، ح ٤ ، ص ٢٣٤ .

ولفسون : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٧) الفيروز آبادي : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

المراغى : المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٨) باشميل : المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

٣ - حصن (النزار) :

و (النزار) في اللغة العبرية بمعنى (التاج) ^(١) ، وبهذا الاسم (حصن النزار) ورد في (المغازي) للواقدي ^(٢) ، وفي (الطبقات) لابن سعد ^(٣) ، وفي (دلائل النبوة) للبيهقي ^(٤) ، كما ورد باسم (حصن بني نزار) في (تاريخ المدينة المنورة) لعمر بن شبة ^(٥) ، وورد باسم (حصن البزاة) عند ابن كثير ^(٦) ، وباسم (حصن البريء) في (السيرة الحلبية) ^(٧) ، أما عند الديار بكرى فقد ورد باسم (حصن البزار) وهذا تصحيف نقلا عن الواقدي ، كما ورد عنده أيضا باسم (حصن البراء) نقلاً عن (الواهب اللدنية) للزرقاني ^(٨) ، وهو أيضا (حصن النزال) عند الصالحى ^(٩) . وهذه كلها أخطاء من النساخ الذين نقلوا الاسم مصحفاً أو محرفاً .

و (حصن النزار) يقع في منطقة وادى الشق من خير التى ضمت « حصون ذات عدد » ^(١٠) إلا أن حصن (النزار) « كان أمنع وأحصن وأقوى حصن في خير على الإطلاق » ^(١١) ، وكان كنانة بن أبى الحقيق أحد الزعامات اليهودية المرموقة في خير يرى « أن حصن (النزار) أحصن ما هنالك » ^(١٢) ،

(١) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٨ .

(٣) ابن سعد : المصدر السابق ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ٧٧ .

(٤) البيهقي : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٢٥ .

(٥) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٨٨ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ح ٤ ، ص ١٩٨ .

(٧) الحلبي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤٣ .

(٨) الديار بكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٧ .

(٩) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩٢ .

(١٠) المقرئى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٤٢ .

(١١) باشميل : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(١٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٩ .

والدليل على ذلك أنه عندما سقطت حصون النطافة في يد المسلمين ثم سقط في أيديهم حصن (أتي) وقلعته الشهيرة (سمران) (سموان) (شمزان) بالشق ، لم يأمن اليهود على نسايتهم وذرائعهم إلا بوضعهم في حصن (النزار) ، وتقول صفية بنت حبي بن أخطب - وهي مازالت غروساً لكنانة بن الربيع - إن كنانة عندما « حولني إلى حصن النزار بالشق قال : هو أحسن مما عندنا »^(١) ، كما كان أهله « أشد أهل الشق قتالاً »^(٢) ، ويتضح مما روته المصادر عن هذا الحصن أنه كان أحسن حصون خيبر بعامة وحصون الشق بخاصة .

وفي هذا الحصن (النزار) سببت صفية رضي الله عنها وابنة عم لها ومن كان معها من ذراري اليهود « قبل أن ينتهي النبي ﷺ إلى الكتيبة »^(٣) .

هذا ويرى اسرائيل ولفنسون أن حصن (النزار) هو نفسه حصن (القموص) ، وأن (النزار) و (القموص) إنما هما اسمين لحصن واحد^(٤) . وهذا خطأ بين واضح . لأن حصن (القموص) يقع في منطقة وادي الكتيبة ، بينما يقع حصن (النزار) في وادي الشق ، وذلك استناداً إلى ما أشارت إليه جميع مصادرنا .

(ثالثاً) حصون منطقة الكتيبة :

أنشأ اليهود في وادي الكتيبة حصوناً لحراسة هذا الوادي الذي يعد من أغنى حصون خيبر ، ومنها :

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٧٤ .

(٢) الواقدي : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٦٨ .

(٣) الواقدي : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٧٥ .

(٤) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

١ - حصن (القموص) :

بفتح القاف وآخره صاد مهملة ، كصبور^(١) هو « الحصن الأعظم » بخير على مذكوره الحرى^(٢) . من حيث الكبر ، والارتفاع ، واطلاله على الواحة الخيرية^(٣) ، فقد « كان حصنا حصينا » على حد رواية الديار بكرى^(٤) .

ورد بهذا الاسم (القموص) بفتح القاف ، عند الأصفهاني ، والحرى ، والبكرى ، وياقوت الحموى ، والحميرى من الجغرافيين^(٥) . كما ورد بنفس الاسم (القموص) عند الواقدى^(٦) ، وابن هشام^(٧) ، وابن سعد^(٨) ، وابن حزم^(٩) ، وابن عبد البر^(١٠) ، والكلاعى الأندلسى^(١١) ، والسهلى^(١٢) ، وابن الجوزى^(١٣) ، وابن كثير^(١٤) ، والصالحى^(١٥) ، والحلبى^(١٦) من مصنفى

(١) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩٣ .

(٢) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

(٣) حمد الجاسر : فى شمال غرب الجزيرة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ص ٢٥٤ .

(٤) الديار بكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٨ .

(٥) المهدانى : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

البكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٢٢ .

ياقوت : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٠٩ .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٦) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٠ .

(٧) ابن هشام : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٤٤ .

(٨) ابن سعد : المصدر السابق ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ٧٧ .

(٩) ابن حزم : المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

(١٠) ابن عبد البر : المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(١١) الكلاعى الأندلسى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٢٥٦ .

(١٢) السهلى : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٥٠٢ .

(١٣) ابن الجوزى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٦٣ .

(١٤) ابن كثير : السيرة النبوية ، ح ٣ ، ص ٣٦٣ .

(١٥) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٤٨ .

(١٦) الحلبى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤٤ .

السيرة والمغازي . وكذا عند بعض مصنفى التاريخ الاسلامى العام (١) وغيرها من المصادر (٢) .

وورد هذا الحصن باسم (القموص) بالغين والصاد المهملة فى بعض المصادر (٣) ، كما ورد باسم (القموص) بالغين والضاد المعجمة ، ويظهر أنه محرف عن القموص (٤) ، فالاسم السائد لهذا الحصن فى غالب مصادرنا العربية هو (القموص) بفتح القاف وآخره صاد مهملة (٥) .

والحصن يقع فى منطقة وادى الكتيبة ، أغنى أودية الواحة الخيرية (٦) ، ولأنه أشهر حصونها على الإطلاق فد أطلق عليه أيضا (حصن الكتيبة) (٧) ، ويحتل الحصن قمة مرتفع على ظهر الحرة فى خير يعرف بجبل القموص ، وعلى حد رواية الجغرافيين فقد نسب الحصن إلى هذا الجبل (٨) ، وهو صخرة عظيمة من البازلت ترتفع فى وادى الكتيبة كأنها كتلة من الصخر شاردة (٩) ،

(١) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص ٨٣ .

الطبرى : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٩ .

ابن الأثير : المصدر ح ٢ ، ص ١٤٨ .

النويرى : المصدر السابق ، ح ١٧ ، ص ٢٥١ .

ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٧٩٥ .

(٢) الفيروزابادى : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٣) ابن سيد الناس : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ١٣٣ .

الديار بكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٨ .

(٤) المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢١٣ .

الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٤٨ .

(٥) الصالحى : نفس المصدر ، ح ٥ ، ص ١٩٣ .

(٦) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٧) ياقوت : نفس المصدر ، ح ٤ ، ص ٤٣٧ .

(٨) الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

ياقوت : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٣٩٨ .

(٩) جردهمان : خير ، مقال بدائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت وآخرون ، القاهرة ،

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ، ح ٩ ، ص ٥٤ .

ويذكر تقرير أثرى أن الحصن يشبه قارب وسط واحة خيم^(١) . والواقع أن الحصن يشبه سفينة حربية عملاقة وسط الواحة الخيرية كان قد أعدها أصحابها وشحنوها بالعدة والسلاح والمقاتلة لتكون القوة التي لا تقهر، إذ « كان حصنا حصينا »^(٢) ومن أقوى حصون هذا الوادي وأمنها^(٣) .

ولا غرو فقد كان أصحاب هذا الحصن ومالكوه هم بعض أشرف الواحة من بنى ألى الحقيق^(٤) ، رهط حى بن أخطب النضرى — سادة منطقة الحصون الأثرىاء ، وقادتها الحريون ، وساستها المخططور^(٥) .

والطرق المؤدية إلى حصن (القموص) ضيقة وملتوية وهناك ممر ضيق يتفرع من الطريق الرئيسى المار بخير ، يؤدي إلى الحصن وسط سلسلة من المتعرجات الجبلية المنحدرة جنوب التل الذى يقع عليه الحصن^(٦) ، وللحصن سلم تصعد درجاته — وهى من الحجارة السوداء — إلى البداية الرئيسة للحصن، وهى بوابة قمت^(٧) بقياس أطوالها أثناء احدى رحلاتى العلمية التى قمت بها إلى منطقة الحصون — فوجدتها بعرض ١٤٥ سم ، ولها دعامتان من الحجارة ، عرض كل منها ٧٥ سم تقريبا ، لنجد أنفسنا أمام مفاجأة مذهلة تختص بهذا الحصن ، وهى أن هذه المقاسات تتساوى وما انفرد به المؤرخ

(١) مايكل جيلمور وآخرون : تقرير مبدئى عن مسح المنطقتين الشمالية الغربية . والشمالية ، اطلال (حولى الآثار العربية السعودية) ، الرياض ، العدد السادس ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١٩ .

(٢) الديار بكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٨ .

(٣) اليعقوبى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٧ .

(٤) الممدانى : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

ابن سعيد الأندلسى : نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٢ م ، ح ٢ ، ص ٨٢٢ .

(٥) البلاذرى : أنساب الأشراف ، ح ١ ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩ م ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٦) مايكل جيلمور وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٧) (الكلام من تقرير علمى لمؤلف هذا البحث .

والجغرافي اليعقوبى وهو يتحدث عن باب هذا الحصن فقال : « وكان باب الحصن من الحجارة طوله أربعة أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع » (١) ، ومن الجدير بالذكر أنه لم يبق من ارتفاع جدران البوابة من عمارته القديمة سوى ١,٩٠ متر .

وأمام بوابة الحصن بئر معطلة ، جافة ، عميقة ، بنيت جدرانها من حجارة الحرة السوداء ، ويبدو أن تاريخ انشائها يعود إلى تاريخ انشاء الحصن نفسه . وكان يشرب منها أهل الحصن وبخاصة عندما يتعرض الحصن للحصار ، وإلى جانب البئر توجد بقايا برج كان يقف خلفه المقاتلون دفاعاً عن مدخل وبوابة الحصن .

وتسلم بوابة الحصن إلى دهليز بعرض ٢,٩٠ متر ، على كل جانب منه مصطبة ، قد بنيت من الحجارة السوداء والطين ، لجلوس أهل الحصن وراحتهم ، ويؤدى دهليز الحصن في نهايته إلى اتجاهين ، الاتجاه الأول إلى بيوت الحصن وغرفاته ، وتقع في الطرف الشرقى للحصن ، وهى مكونة من طابقين ، عبارة عن حجرات كانت متعددة الأغراض والمنافع ، ويبلغ سمك قواعد الجدران الأثرية ١ متر بارتفاع ١,٥٠ متر ، وهى من الحجارة السوداء المليسة من الطين (٢) . ويعلمو هذه القواعد الأثرية القديمة بناية حديثة من الطوب اللبن ، وتعود هذه الناية الحديثة إلى عهد قريب بواسطة قوات العثمانيين عندما كانت بقيادة عبد الله بن سروان عام ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م على نحو ما أخبر به سكان المنطقة (٣) .

كذلك يوصل الدهليز — من خلال باب في جداره الغربى — إلى الطرف الغربى للحصن ، وهو عبارة عن فناء مكشوف ، واسع وكبير يبدو أنه كان معداً لأغراض القتال في المقام الأول ، وإلى يمين الداخل توجد بقايا غرفة طولها

(١) اليعقوبى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٢) من تقرير علمى لكاتب هذا البحث .

(٣) مايكل جيلمور : المرجع السابق ، ص ١٩ .

١١ متر ، وعرضها ٩,٣٥ متر ، أما ارتفاع بقايا جدرانها الأثرية القديمة فيبلغ حوالى متر ونصف ، ويبدو أن هذه الغرفة كانت مجلساً يجتمع فيه أهل الحصن للتشاور والرأى .

أما الفناء الواسع ، فينقسم إلى قسمين : قسم شرقى ، وآخر غربى ، يفصل بينهما سور أثرى قديم مبنى من الحجارة السوداء ومليس بالطين ، وبهذا السور باب يربط بين قسمي الفناء يصل ارتفاع الجزء الباقى من دعامة هذا الباب حوالى ١,٩٥ متر .

وتشير بقايا الجدار الخارجى للحصن إلى وجود عدد من الأبراج ، ففى الجانب الشرقى من مبنى الحصن ، حيث كانت بيوت أهله وغرفهم ، توجد بعض السرايب ، حيث يؤدى كل سرداب منها إلى برج من أبراجه التى أعدت لرد غارات المهاجمين ، كما توجد فى أصل الجدار الخارجى للحصن كوات (طاقات) أعدت لنفس الغرض وللأضائة أيضا ، كذلك توجد فى الطرف الغربى للحصن حيث الفناء الواسع المكشوف عدد من الأبراج فى أصل الجدار القديم للحصن ، وتبرز هذه الأبراج إلى الخارج ، وقد أطلت جميعها على منطقة وادى الكتيبة التى كانت تستظل بحماية هذا الحصن الأشهر بهذا الوادى .

كذلك توجد فى أرض الفناء المكشوف من الحصن بقايا رحي متآكلة ، صنعت من صخور الحرة فى خير ، كانت تستخدم فى طحن الغلال ، كما كانت تستخدم فى القتال إذا لزم الأمر بأن تلقى من أعلى الحصن على من تحدته نفسه من المهاجمين الاقتراب من الأسوار طلبا للراحة أو الظل ، فتصيب منه مقتلاً^(١) .

« وكان تحت الحصن ربنض من حجارة »^(٢) وهى الصخور والكتل الكبيرة من الحجارة التى كان يستخدمها أهل الحصن كساتر يحمى المدافعين ، كما

(١) من تقرير علمى لكتاب هذا البحث .

(٢) الديار بكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٩ .

كانت توجد عند أقدام الحصن من الجهة الجنوبية منازل خير القديمة ، تحتصن الحصن ، وتلاصق جسمه ، طلباً لحمايته ، بينما يقف الحصن شامخاً يرد عنها عادية المغيرين ، وفجأة المهاجمين .

كما تحيط بالحصن وبخاصة من الجهة الشمالية حوائط قديمة (بساتين) ، كثيفة بأشجار النخيل ، ولا يفصلها عن جسم الحصن سوى بضع خطوات ، وتشكل هذه الغابة من النخيل ساتراً ومانعاً يعوق سهام وحراب ونبل المهاجمين أن تصل إلى المدافعين عندما تصطدم برعوس النخل الباسقة الملاصقة لأسوار الحصن الشاهقة .

ومن الملاحظ أنه لا توجد أمام الحصن أو حوله ساحات واسعة أو أرض فضاء ، كما أن الطرق المؤدية إليه ضيقة وملتوية ، مما يجعل مهمة الفرسان المهاجمين صعبة ، فلا مجال للمناورة أو الكر والفر ، أضف إلى ذلك أن وجود الحصن فوق (جبل القموص) ^(١) الشاهق الارتفاع باستقامة واعتدال جوانبه الملساء ، يمثل صعوبة بالغة ومهمة شاقة غير مأمونة العواقب لمن يحاول أن يتسلق جوانب الحصن لاقتحامه . أما من ناحية مدخل الحصن ، فإن الأمر ليس سهلاً لمن يحاول اقتحامه عن طريق درجات السلم ، فهناك أمام مدخل (الحصن) ، برج خلفه مقاتلة اليهود ، وبئر عميقة تعوق المهاجم ، وباب ضخيم لحصن حصين ^(٢) .

ولا ننسى أن نشير إلى أنه قد عثر على كسر من الفخار بالحصن ، وتركزت هذه الكسر في الفناء المكشوف في الطرف الغربي للحصن ، ومعظمها من الفخار العباسي المزجج باللون الأزرق والأخضر إلى جانب بعض الكسر من الفخار العثماني والأحدث عهداً ^(٣) ، مما يدل دلالة قاطعة على أن هذا الحصن

(١) الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(٢) مذكرات كاتب هذا البحث التي سجلها في تقارير علمية عن رحلاته إلى منطقة خير في أعوام ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٨ م .

(٣) مايكل جيلسور : المرجع السابق ، ص ١٩ .

استخدم في أكثر من عهد لأغراض حرية ، سبق لهود خير أن أنشأوه من أجلها عندما أسسوا القموص « حصن خير الأعظم »^(١) في عصر ما قبل الاسلام وفي حوالى منتصف القرن الخامس للميلاد^(٢) .

٢ - حصن (وجدة) :

يفتح الواو بعدها جيم ساكنة فذال مهملة مفتوحة ، فهاء^(٣) ، ورد بهذا الاسم (وجدة) عند الحرى في (المناسك)^(٤) ، وعند البكرى في معجمه^(٥) ، وعند الحميرى في (الروض المعطار)^(٦) ، لكنه ورد باسم (وحيدة) — يفتح الواو وكسر الحاء ثم ياء ، وفتح الدال — عند ابن شبة في (تاريخ المدينة المنورة)^(٧) ، أما ياقوت فقد ذكر هذا الحصن في معجمه باسم (وخدة) — بالحاء — وقال : « قرية من قرى خير الحصينة »^(٨) ، ويرى عالم الجزيرة الشيخ حمد الجاسر أن الاسم الأخير تصحيف (وجدة) — بالجيم — وهو اسم لقرية من قرى خير لاتزال معروفة بهذا الاسم في سفح جبل (عطوة)^(٩) .

وينفرد عمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ) بالاشارة إلى موقع هذا الحصن فيذكر أنه يقع في وادى (خاص) الذى به حصنى (السلام) و (الوطيح) حيث

(١) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

البكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٢٢ .

(٢) ادارة الآثار المتاحف والآثار بالسعودية : المنطقة الشمالية الغربية ، أرض مدين ودادان ، الرياض ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص ٣ .

(٣) البكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ١٣٧٠ .

(٤) الحرى : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ .

(٥) البكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٢١ .

(٦) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٧) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٩٠ .

(٨) ياقوت : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٦٤ .

(٩) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٦١٣ .

الأموال القصوى^(١) ، وحيث وادى وجدة أحد روافد هذا الوادى الكبير^(٢) .
ويذكر الامام الحرى أن هذا الوادى كان « به نخل وأشجار » ومزارع ، وكان
فيه طعم رسول الله ﷺ من مقاسم خير^(٣) ، ومن الجدير بالذكر أن مؤرخنا
الواقدى هو أقدم من أشار إلى (وجدة) وهو يتناول « تسمية سهمان
الكتيبة » من خير^(٤) .

(رابعاً) حصون منطقة الوطيح)

يوجد فى تلك المنطقة عدداً من الآطام ومن أعظمها :

حصن (الوطيح) :

بفتح الواو وكسر الطاء ، وبالحاء المهملة^(٥) ، و (الوطيح) لفظه مأخوذ
من (الوطح) وهو ماتعلق بالأظلاف ومخالب الطير من المغرة والطين وأشباه
ذلك ، وتواطحت الإبل على الحوض إذا إزدحمت^(٦) .

وتنسب روايات الاخباريين اسم الحصن إلى (الوطيح بن مازن) ، رجل
من ثمود^(٧) . وإن كانت هذه المصادر لم تذكر شيئاً عن هذا الرجل الثمودى
وعلاقته وصلته بالحصن فى خير .

(١) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٩٠ .

(٢) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٦١٣ .

(٣) الحرى : المصدر السابق ، ٥٣٩ .

(٤) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٥) ابن منظور : اللسان ، ص ٩٤٧ مادة (وطح) .

(٦) السهيل : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٥٤٥ .

ياقوت : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٧٩ .
الفيروزابادى : المعجم ، ص ١٣٥ .

(٧) البكرى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ١٣٨٠ .

السهيل : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٥٤٥ .

وقد ورد الحصن بهذا الاسم (الوطيح) عند كل من : الواقدي ^(١) ، وابن هشام ^(٢) ، وابن سعد ^(٣) ، وابن حزم ^(٤) ، وابن الربيع الكلاعي ^(٥) ، وابن عبد البر ^(٦) ، والسهيلي ^(٧) ، وابن الجوزي ^(٨) ، وابن كثير ^(٩) ، وابن سيد الناس ^(١٠) ، والصالحى ^(١١) ، والديار بكري ^(١٢) ، والبرهان الحلبي ^(١٣) من كتاب السير والمغازي ، كما ورد بهذا الاسم عند خليفة بن خياط ^(١٤) ، وابن شبة ^(١٥) ، والطبري ^(١٦) ، وابن الأثير ^(١٧) ، (وغيرهم) من المؤرخين المسلمين . كما ورد بنفس الاسم (الوطيح) عند كل من الامام الحرفي ^(١٨) ، والبيكري ^(١٩) ، وياقوت ^(٢٠) ، والحميري ^(٢١) في مصنفاتهم

-
- (١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٠ .
(٢) ابن هشام : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٤٧ .
(٣) ابن سعد : المصدر السابق ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ٧٧ .
(٤) ابن حزم : المصدر السابق ، ص ٢١٣ .
(٥) ابن الربيع الكلاعي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٢٥٦ .
(٦) ابن عبد البر : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .
(٧) السهيلي : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٥٤٥ .
(٨) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ح ، ص .
(٩) ابن كثير : السيرة ، ح ٢ ، ص ٣٦٨ .
(١٠) ابن سيد الناس : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
(١١) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٠٤ .
(١٢) الديار بكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٧ .
(١٣) البرهان الحلبي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤٤ .
(١٤) ابن خياط : المصدر السابق ، ص ٨٣ .
(١٥) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٩٣ .
(١٦) الطبري : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ١٤ .
(١٧) ابن الأثير : الكامل ، ح ٢ ، ص ٢١٨ ، ٢٢١ .
(١٨) الحرفي : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .
(١٩) البيكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ١٣٨٠ .
(٢٠) ياقوت : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٠٩ .
(٢١) الحميري : المصدر السابق ، ص ٦٠٩ .

الجغرافية ، كما ورد عند ابن دريد في (الجمهرة)^(١) وعند الفيروزابادی في (المغام)^(٢) وعند ابن منظور في (اللسان)^(٣) .

على أن هذا الحصن ورد باسم (الوطيحة) بالهاء في كتاب (الأموال) لأبي عبيد^(٤) ، وفي كتاب (الأموال) لابن زنجويه^(٥) .

وحصن (الوطيح) يقع في وادي (خاص) مما يلي الكتيبة^(٦) وموقعه على (الأهيل) ، « ولأهيل : جبل في أصله اطام اليهود ومزارع وأموال تعرف بـ (الوطيح) ، كان فيها طعم أزواج النبي ﷺ وبنى المطلب وبنى مخروم من مقاسم خير »^(٧) .

وكانت المزارع وأشجار النخيل في سفح الوطيح في حماية الآطام اليهودية — الواقعة فوق جبل الأهيل — وخاصة حصن (الوطيح) الذي أعده اليهود ليكون واحداً من أقوى حصون تلك المنطقة بخاصة ، خير بعامه^(٨) فقد كان « أعظمها وأحصنها » على حد رواية صاحب (المغام)^(٩) ، وكان من الحصون التي كانت في حوزة بني أبي الحقيق القاطنين في خير^(١٠) .

(١) ابن دريد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .

(٢) الفيروزابادی : المغام ، ص ١٣٥ .

(٣) ابن منظور : اللسان ، ص ٩٤٧ .

(٤) أبو عبيد : الأموال ، كتاب فتوح الأرضين صلحا ، ص ٧١ .

(٥) ابن زنجويه : الأموال ، ج ١ ، ص ١٨٩ .

(٦) ابن شبة ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٧) الحرثي : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

(٨) غيث : المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ١٤٤ .

(٩) الفيروزابادی : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(١٠) ابن كثير : السيرة ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

(خامساً) حصون منطقة السلام :

تشير المصادر إلى أن الحصن الذى يقوم على حراسة هذه المنطقة هو :

حصن (السلام) :

بضم أوله ، وبعد الألف لام مكسورة^(١) . وهو حصن من حصون آل أبى الحقيق ويقع بمنطقة السلام من خير ، مما يلى الكتيبة من وادى خاص^(٢) ، وكان ملكا لكتانة بن أبى الحقيق النضرى^(٣) .

عرف هذا الحصن باسم (السلام) بضم السين وكسر اللام الثانية عند مصنفى السيرة والمغازى^(٤) وورد بنفس الاسم (السلام) فى بعض مصادر التاريخ الإسلامى العام^(٥) ، كما ورد بنفس الاسم (السلام) فى المصادر

-
- (١) ياقوت : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٢٣٣ .
 - (٢) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٩٠ ، ١٩٣ .
 - (٣) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٤ .
 - (٤) ابن هشام : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٤٧ .
 - الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٤ .
 - ابن حزم : المصدر السابق ، ص ٢١٣ .
 - البيهقي : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٢٥ .
 - ابن عبد البر : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .
 - السهيلي : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٥١٠ .
 - ابن القيم : زاد المعاد فى هدى خير العباد ، شعيب الأرناؤوط ، الطبعة ١٣ ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ح ٣ ، ص ٣٢٥ .
 - الصالحي : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٠٤ .
 - الخللي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤٤ .
 - الديار بكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٧ .
 - (٥) يعقوبى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٦ .
 - الطبري : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ١٠ .
 - ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ١٤٨ .

الجغرافية عند البكري^(١) ، وياقوت الحموي^(٢) ، والحميري^(٣) ، وفي هذا الحصن قال الفضل بن العباس اللهي :
ألم يأت سلمى نأينا ومقامنا
بيطن دفاق في ظلال سلام ؟^(٤)

أما عند الحرني فقد ورد في (المناسك) باسم (سليمان) على لفظ تصغير (سلم)^(٥) ، كما قيل فيه (السلايم)^(٦) .

وكان حصن (السلام) قوى التحصين ، يصفه صاحب (تاريخ الخميس) بأنه كان من « أحرز حصون خير »^(٧) ، بينما يصفه ابن الديبع بأنه « كان أعظمها وأوسعها أموالاً »^(٨) ، وتشير المصادر إلى أنه كان مدججاً بمختلف أنواع الأسلحة ، وأن المسلمين قد غنموا ما به من دروع وسيوف ورماح وأقواس عربية^(٩) .

(١) البكري : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٧٤٥ .

(٢) ياقوت : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٢٣٣ .

(٣) الحميري : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ ، ٤٩٠ .

(٤) ياقوت : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٢٣٣ .

(٥) الحرني : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ . وأنظر حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(٦) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٥٤ .

الخلبي : المصدر السابق ، ص ٧٤٤ .

(٧) الديار بكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٧ .

(٨) ابن الديبع : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤١ .

(٩) البيهقي : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(سادساً) حصون أخرى :

(١) حصن (المريطة) (المرطة) :

ورد ذكر هذا الحصن بلفظ (المريطة) عند اليعقوبى وهو يتحدث عن أشهر حصون خيبر ^(١) .

لكن لفظ (المرطة) ورد أيضاً فى (المناسك) عند الحرثى وهو يتبع الطريق من المدينة إلى خيبر ، « قال : ويقال إن حد خيبر الدومة — ثم تصير إلى خيبر وحصونها . قال : وسوق خيبر اليوم (المرطة) ، وكان عثمان قد مصرها ، والحصن فيه بقية الناس ، وهو لعمر بن الخطاب ، ثم حصن وجدة ... ثم سليمان .. ثم الأهيل .. » ^(٢) ويبدو من سياق الكلام أن كلمة (الحصن) تعنى حصن (المرطة) الذى ورد ذكره عند اليعقوبى بلفظ (المريطة) ، كما يبدو أيضاً أن (سوق المرطة) كانت فى حماية هذا الحصن المعروف بـ (المرطة) (المريطة) ، ويظهر أن (المرطة) و (المريطة) إسمين أحدهما مصحف عن الثانى .

(٢) حصن (الظهار) :

ككتاب . ذكره ياقوت فى معجمه ، وقال انه « من حصون اليهود فى خيبر » ^(٣) كما ورد بنفس الاسم عند الفيروزابادى فى (المغامم المطابة) ^(٤) على أن أياً منهما لم يحدد لنا فى أية منطقة موقع هذا الحصن .

(٣) حصن (القصاره) :

وينفرد اليعقوبى فى تاريخه بالإشارة إلى هذا الحصن ضمن الحصون الستة

(١) اليعقوبى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٢) الحرفى : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ .

(٣) ياقوت : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٣ .

(٤) الفيروزابادى : المغامم المطابة ، ص ٢٤١ .

الشهيرة التي ذكرناها من حصون خير والتي سقطت في يد المسلمين بقيادة
النبي ﷺ في المحرم — صفر من العام السابع من الهجرى (١)، ومع أن
اليقوى جغرافياً أيضاً إلا أنه لم يحدد في أى منطقة من خير كان موقع هذا
الحصن .

(١) اليقوى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٦ .
والحصون : الستة التي ذكرها اليقوى هي « حصون السلام ، والقموص ، والنطاة ،
والقصابة ، والشق ، والمريطة » (اليقوى : نفس المصدر ، ونفس الصفحة) .

الفصل الثانى

الأسلحة ومعدات القتال التى استخدمها اليهود فى منطقة الحصون

- ★ المنجنيق .
- ★ القسى والسهام .
- ★ الدرع .
- ★ البيضة .
- ★ الترس .
- ★ المففر .
- ★ الرمح والحربة .
- ★ السيوف .
- ★ الدبابة .
- ★ أدوات قتال أخرى .

الأسلحة ومعدات القتال

تميزت الحصون في خير بوفرة الأسلحة والمعدات التي استخدمها اليهود في القتال ، وشحنوا حصونهم بها ، وكان بعض هذه الأسلحة يصلح للهجوم ، وبعضها الآخر يصلح للدفاع ، والبعض الثالث يصلح للغرضين معاً ، كما تميز اليهود في خير بتطوير أدوات القتال ، ودفع أسلحة حربية جديدة مؤثرة إلى ساحات الحرب ، تكون بمثابة المفاجأة للعدو .

وقد أشارت المصادر التي بين أيدينا إلى تلك الأسلحة وأدوات القتال التي استخدمها اليهود في منطقة الحصون وأهمها :

المنجنيق :

بفتح الجيم وكسرهما ، آلة قاذفة ، ترمى بها الحجارة ، وهي من الأسلحة التي شحن يهود حصونهم بها ، ويستخدم المنجنيق في حالة الحصار لرمى الحجارة على العدو ، ولهدم الأسوار ، ودك الحصون والأبراج واحراق مواقع الخصوم ^(١) .

ولصاحب (المغازي) السبق في تبين أن اليهود في خير شحنوا في (حصن ناعم) في النطاة منجنيق وأنهم أخفوها في مخزن سرى استودع فيه يهود « آلة حصونهم التي كانوا يقاتلون بها بعضهم بعضاً » ^(٢) كما يذكر الواقدي أن المنجنيق كانت « مفككة » ، فقد فجأهم النبي ﷺ قبل أن يهيئوها للقتال ، ويشير هذا المصدر الهام إلى أن (سمالك) اليهودي أحد سكان هذا الحصن ، والذي وقع في أسر المسلمين في الليلة السادسة من حصار خير ، كان يعرف الموضع السرى الذي وضع فيه اليهود هذا السلاح الخطير وأنه هو الذي أوقف النبي ﷺ على مكان هذا المستودع وما به من آلة الحرب . وأنه هو الذي أشار على النبي ﷺ بأن يأخذ المنجنيق بعد سقوط الحصن ، ويهيئها

(١) عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

للاستعمال ، ثم ينصبها ويوجهها لضرب (حصن النزار) وغيرها من حصود الشق ليسهل على المسلمين فتحها ، « فتهيئوا ، فما رموا عليها بحجر حتى فتح الله عليهم حصن النزار » (١) . وكانت تلك المنجنيق مع غيرها من المنجنيقات التي أخرجها المسلمون من حصن (الصعب) (٢) هي التي هم النبي ﷺ أن ينصبها على (القموص) حصن بنى أوى الحقيق بالكتيبة وأهم حصون تلك المنطقة « لما رأى من تغليقهم وأنه لا يبرز من يهود بارز » (٣) ، وقد طال أمد الحصار (٤) .

وهنا علينا أن نؤكد على هذه الحقائق :

أولاً : أن هذه أول مرة نسمع فيها عن سلاح المنجنيق كسلاح من أسلحة القتال التي تستخدم في القتال في بلاد الحجاز .

ثانياً : أن هذه أول مرة أيضاً نسمع فيها أن قوة من القوى الحربية في بلاد الحجاز قد امتلكت المنجنيق كسلاح حربي خطير .

ثالثاً : أن يهود منطقة الحصون في خير كانوا أول من استخدم المنجنيق في القتال ضد بعضهم البعض قبل فتح خير وأنهم أول من شحنوا حصونهم بهذا السلاح في بلاد الحجاز .

رابعاً : أن معركة خير كانت أول معركة تظهر فيها آلة المنجنيق بين كل المارك التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم من الوثنيين أو اليهود في بلاد العرب منذ نشأة دولة الاسلام في المدينة وحتى تاريخ هذه الغزوة .

خامساً : أن المنجنيقات التي وجدت في خير كانت كلها في حصون منطقة النظاة ، فقد وجدت « منجنيق مفككة ودبابتان وسلاح من دروع

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٢) المقرئى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٧٠ .

(٤) ابن كثير : السيرة ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

وبيض وسيوف » في حصن (ناعم) ^(١) ، أما في حصن (الصعب بن معاذ) فقد أخرج المسلمون منه « آلة كثيرة للحرب ، ومنجنيقاً ودبابات وعدة » ^(٢) ومن الجدير بالذكر أن جزءاً كبيراً من يهود النطاة ونقصد أسرة (آل مرحب) كانوا من أصول حميرية يمنية ^(٣) .

ولأهمية هذا السلاح وخطورته ، وأثره الفعال في المعارك ، علينا أن نتساءل عن مصدر هذا السلاح ؟ وهل هو صناعة محلية خيرية ؟ صنعه صناع السلاح من القيون في خير ؟ أم أنه سلاح استورده يهود خير من جهة ما ؟ .

لقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذا السلاح لم يستخدمه الجاهليون في معاركهم استناداً إلى أنه لم يرد لهذا السلاح ذكر في أشعارهم ^(٤) ، بينما يرى البعض الآخر أن العرب لم يستخدموا هذا السلاح إلا في أواسط القرن الأول الهجري ^(٥) ، وفريق ثالث ومنهم « فون كيرمر » ، و « أمان » يرى أن العرب نقلوا عن البيزنطيين استعمال المنجنيق في الحرب ^(٦) .

هذا عن معرفة الجاهليين بسلاح المنجنيق ، فماذا عن معرفة اليهود النازلين في جزيرة العرب بهذا السلاح ؟ .

يرى بعض الباحثين أن اليهود قد اختزنوا هذا السلاح ليقاتلوا به الأوس والخزرج مع النبي المنتظر كما يزعمون ، ويرى هذا البعض أيضاً أنه من الجائز أن اليهود في خير قد اشتروا هذا السلاح وتكتموا أمره ، كشأنهم في الاحتفاظ

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٢) الواقدي : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٦٤ .

(٣) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٤٨ .

(٤) عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٥) جورجى زيدان : تاريخ المدن الاسلامى ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

(٦) عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

بالسرية التامة في تاريخهم كله ، فلما جاء الرسول ﷺ حاربوه فحاربهم ، ومن ثم أخرجوا هذا السلاح من حصونهم وقتلوه به ^(١) ويرى هذا الفريق أن اليهود قد سبقوا أهل الطائف — الذين ظهر عندهم هذا السلاح سنة ٨ هـ — في تعلم صناعة المنجنيق والدبابات في مدينة جرش التي اشتهرت بصناعة هذه الأسلحة ، وقد أشار هذا الفريق إلى مدينة جَرَش — بالتحريك — الواقعة شرق جبل السواد من أرض البلقاء وحوارن من عمل دمشق التي يملكها البيزنطيون ^(٢) .

إلا أن الباحث يرى أن المقصود بمدينة جرش التي أشارت إليها المصادر التاريخية والتي كانت مركزا لصناعة المجانيق والدبابات ^(٣) إنما هي مدينة جَرَش — بالضم ثم الفتح — من مخاليف اليمن من جهة مكة ^(٤) وليست مدينة جَرَش من أعمال دمشق ، لأن البيزنطيين كانوا لا يسمحون للعرب بأن يتجاوزوا أسوار مدينة بصرى خوفا على أسرار بلادهم ^(٥) ، ومن الممكن أن أهل جَرَش باليمن قد تعلموا صناعة المنجنيق والدبابات من الفرس ، الذين كانوا يحتلون اليمن وشرق الجزيرة قبل الاسلام في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي وأوائل القرن السابع ^(٦) خاصة وأن بعض المصادر تشير إلى أن سلاح المنجنيق فارسي الأصل ، فصاحب « لسان العرب » يذكر أن لفظة « المنجنيق » لفظة فارسية معربة عن العبارة « مَنْ جى نيك » أى « ما أجودنى » ^(٧) ومن ثم فإلى مدينة جَرَش باليمن ذهب بعض رجال من أهل الطائف لتعلم صناعة المنجنيق

(١) عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(١) عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٢) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢١ .

(٤) باقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٧ م ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٦) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢١٣ — ٢١٥ .

(٧) ابن منظور : اللسان ، ج ٣ ، ص ٤١٤٢ (مادة : محق) .

والدبابات على أيدي أهل جُرَش باليمن ، ومن المحتمل أنه قد سبقهم إلى هناك لتعلم هذه الصناعات الحربية يهود من النازلين بأرض خيبر ، وبخاصة أن بعضهم من أصول يمنية حميرية مثل أسرة (آل مرحب) صاحبة حصن (ناعم) بالنظاة من خيبر ، والتي وجد في حصنها « منجنيق مفككة ودبابتين وسلاح من دروع وبيض وسيوف » ^(١) ولا ننسى أيضا أن اليهود كانوا تجار سلاح ^(٢) .

القسي والسهام :

القسي والسهام من أشهر الأسلحة التي استخدمها اليهود قديما في حروبهم ^(٣) ، وكانت القسي والرمي بالسهام من أنكى أسلحة الخيابة ، وأكثرها فعالية وتأثيراً في معاركهم ^(٤) وذلك أن القتال يكون أول أمره تراشقا بالسهام من بعد فالقوس للرامي (كالبنديقة) والأسهم كطلقتها ^(٥) .

والقسي في الأصل عود من شجر جبل صلب ، يحنى طرفاه بقوة كاهلال ، ويشد فيهما وتر من الجلد أو العصب الذي يكون في عنق البعير ، وتتخذ القسي من أغصان شجر النبع والسدر والشريان والشوحط ^(٦) .

وأجود أنواع القسي التي تسليح بها يهود الحصون في خيبر هي (القسي

(١) الواقدي : المصدر السابق ، حد ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٢) ولفنسون : المرجع السابق ، ص

(٣) ظاظا وعاشور : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، حد ٢ ، ص ٦٤٣ ، ٦٤٦ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ .

(٥) عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، ١٣٧ .

(٦) ابن هذيل : حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥١ م ، ص ٢١١ .

الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، حد ٣ ، ص ٣٥٥ .

العربية (المعروفة بصلابتها وشدة جفافها وتتخذ من النبع ^(١) ، وقد حرصوا على استعمالها وشحن حصونهم بها » فهي أنسب للفارس لأنها أسرع وأقل مثونة » ^(٢) ، كما أن لها ميزة أخرى وهي أنها ترمى عدداً من السهام يتراوح ما بين أربعة أو خمسة أسهم فإذا دفعها الوتر انتشرت دفعة واحدة ، ولا بد أن يصيب واحد منها الهدف ^(٣) ، وتذكر المصادر التي بين أيدينا أن المسلمين وجدوا في حصنى الوطيط وسلام بعد انتهاء الحرب وسقوط الحصون خمسمائة قوس عربية مجعابها ^(٤) ، إلى جانب أسلحة أخرى ، وأن تلك القسي والسلاح إنما كان لآل أبي الحقيق جماعة يعيرونه العرب ^(٥) لماذا ؟ لأن هذا السلاح كان قليلاً بين العرب آنذاك ، وقليل منهم من يجيد الرمي به ^(٦) .

والسهام من آلات الرمي بالقوس ، وله أنواع كثيرة ، والسهام التي تصنع من النبع يقال لها النبل ^(٧) والنبل هي السهام ، وقيل هي السهام العربية ، ولا يقال نبله وإنما يقال سهم ^(٨) وتستعمل السهام للرمي ، سواء أكان ذلك في ميدان مكشوف أم من وراء الأسوار والحصون وهو سلاح فتاك ^(٩) وخطورة

(١) ، الدقذوق : الجندية في عهد الدولة الأموية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م . ص ٢٢٦ .

(٢) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٣) جهادية القره غولي : العقلية العربية في التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول ، الطبعة الأولى ، بغداد سنة ١٩٨٦ ، ص ١٨٦ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧١ .

(٥) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٧ .

(٦) عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ٤٨ ، ٥٤ .

(٧) عبد الرحمن زكي : الحرب عند العرب ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٩ م . ص ٣٥ .

(٨) ابن منظور : اللسان ، ح ٣ ، ص ٥٧٣ .

(٩) الدقذوق : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

الرمى فى القتال ولأهمية هذا السلاح فى المعارك فقد اهتم اليهود القاطنين فى الحصون الخيرية بشحن قلاعهم بهذا النوع من السلاح وباعداد كبيرة (١) .

وكان لليهود فى خير قدرة كبيرة على استخدام السهام بكفاءة عالية (٢) ، إذ تدربوا على الرمى ، وأجادوا أصول الرمى وفنونه ، واشتهر بعض مقاتليهم بدقة اصابتهم للهدف ، فكانوا يصيبون سهامهم أدق الأهداف ولا يخطئون الهدف ، فكان كنانة صاحب حصن القموص وقائد المقاتلين فيه يرمى ثلاثة أسهم فى ثلاثمائة ذراع فيدخلها فى هوف شيرا فى شبر (٣) ، كذلك « كان أهل النطاوة أحد اليهود » من الرماة (٤) كما اشتهر يهود حصون النطاوة بسرعة الرمى فإذا رموا سراعاً أمطروا « وكان نبلمهم مثل الجراد » حتى يظن عددهم أنهم لن يقلعوا (٥) ، وعن يهود النطاوة ومهارتهم فى الرمى وطول مدى سهامهم ، يقول الخير العسكرى الصالحى الجليل الحباب بن المنذر « ليس قوم أبعد مدى سهم منهم ، ولا أعدل رمية منهم » (٦) فضلاً عن سرعة انخطاط نبلمهم عندما يرمونها من أعلى أسوار الحصون (٧) .

كما كان يهود (حصن أنى) بالشق « أشد أهل الشق رمياً بالنبل والحجارة » (٨) .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه من مستلزمات السهام : الكنانة و الجعبة (٩) ،

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٣ .

(٢) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٤٣ ، ٦٦٧ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٠ .

(٤) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٦٧ .

(٥) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٦٣ .

(٦) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٦ .

(٧) الصالحى : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(٨) البيهقى : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٢٥ .

(٩) الألوسى : المرجع السابق ، ح ٣ ، ص ٣٥٨ .

والكنانة : هي جعبة السهام وتتخذ من جلود لا خشب فيها ، أو خشب لا جلود فيه ، وقيل الكنانة كالجعبة غير أنها صغيرة تتخذ للنبل ، وقيل كنانة النبل إذا كانت من آدم ، فإذا كانت من خشب فهي جفير^(١) ومرة أخرى نشير أن المسلمين استولوا على خمسمائة قوس عربية بجعابها من حصنى الوطيح وسلام^(٢) كذلك يذكر الواقدي أنه قد « وجد في الكتيبة خمسمائة قوس عربية »^(٣).

الدرع :

الدرع من أسلحة الوقاية ، يتدرع بها المقاتل ، لحماية نفسه من ضربات السيوف ووخزات الرماح^(٤) ، وقد تكون للصدر والظهر ، فتحمي صدر المحارب وظهره ، وقد تكون للصدر فقط ، فيقي المحارب بالدرع ضربات خصمه فلا ينال من صدره^(٥).

والدرع أصلاً ثوب ينسج من زرد الحديد أو السرد ويلبس في الحرب كالقميص^(٦) ، والدرع كما يذكر ابن منظور : « لبوس الحديد ، تذكر وتؤنث ، وجمعها دروع ، والأدراع جمع درع وهي الزرادية^(٧) ، ويعرف أهل الأخبار الدرع بأنها القميص المتخذ من الزرد^(٨) ، وتؤلف الدرع المركبة

(١) عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

الدقنوق : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٢) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٠٤ .

الخلبي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤٥ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٠ .

(٤) الدقنوق : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٥) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

(٦) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٧) ابن منظور : اللسان ، ح ١ ، ص ٩٦٩ (مادة : درع) .

(٨) جواد على : المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٠ م ، ح ٥ ،

ص ٤٣٠ .

(الكاملة) من الجوشن وهو الجزء الذى يقى الصدر ، والبيضة أو الخوذة ، والمغفر ، ثم أجزاء لوقاية الساعدين والساقين والكفين ولكل منها اسم خاص (١) .

وتعرف الدروع عند العبرانيين بـ (شريون) shiron (٢) وينسب أهل الأخبار الدروع الجيدة إلى داود النبي عليه السلام الذى اشتهر كما يروون بعمل الدروع (٣) وترجع هذه الشهرة في الواقع إلى تأثير القصص اليهودى والدعاية الاسرائيلية في نفوس الجاهليين (٤) .

وكانت الدروع من الأسلحة الغالية الثمن نظراً لأهميتها للمقاتلين ، وكان لا يلبسها إلا القادة والزعماء عند الجاهليين لجلال خطرهم وحفظاً لحياتهم (٥) ، ومع هذا فإنه نظراً للقوة المالية والاقتصادية لليهود سكان الحصون ، ووجود صناع السلاح في خير ، واهتمام اليهود بالحفاظ على حياة مقاتليهم ، فإن الحصون الخيرية قد توافرت في مخازنها أعداد كبيرة من الدروع التي كان يلبسها المحاربون اليهود عند القتال (٦) ففنى قتال خير كان على (مرحب) الفارس اليهودى درع مشمرة (٧) أى مرسله طويلة (٨) ، وبعضهم بالغ في وقاية نفسه في ساحة الوغى عندما يخرج للمبارزة مثل (عامر) اليهودى الذى قاتل وعليه درعان (٩) ، كذلك تشير

(١) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٢) جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٣٠ .

(٣) أبو عبيد : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٤) جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٣٠ .

(٥) الدقنوق : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٦) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٠٤ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٦ .

(٨) ابن منظور : اللسان ، ح ٢ ، ص ٣٥٩ (مادة : درع) .

(٩) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٧ .

المصادر التاريخية إلى أن المسلمين استولوا على مائة درع من مخازن الأسلحة بحصنى الوطيح والسلام وحدهما (١) ، وهما من حصون أسرة أوى الحقيق فى خير الذين كانوا يعيرون السلاح من يطلبه من العرب (٢) ، كذلك أشار المعاصرون قبيل سقوط خير فى صفر سنة ٧ هـ إلى كثرة الدارعين فى منطقة الحصون وإلى أنه كان « بخير ألف دارع » يشكلون القوة الحربية الضاربة ليهود الحصون (٣) .

البيضة :

والبيضة من السلاح ، سميت بذلك لأنها على شكل بيض النعام ، وابتاض الرجل : لبس البيضة (٤) وما صنع للرأس من حديد منقور فهى (بيضة) ، والبيضة : الخوذة (٥) والبيضة من ملحقات الدرع ، وهى لحماية الرأس ، وتلبس فوق المغفر (٦) وعلى الرغم من غلو ثمنها عند سكان بلاد العرب (٧) ، فقد وجدت منها كميات كبيرة فى مخازن الحصون فى خير (٨) نظراً لأهميتها للدارعين (٩) ، فقد أشارت المصادر العربية إلى أنه كان فى خير ألف دارع (١٠) كما أشارت إلى أن فرسان اليهود فى خير والمبارزين كانوا يلبسون البيض فوق المغافر عند اقتحامهم الحرب (١١) وذلك لحماية الرأس من السوف والحجارة والعصى وماشابه ذلك (١٢)

(١) الخلى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤٥ .

(٢) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧١ .

(٣) نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٣٧ .

(٤) ابن منظور : اللسان ، ح ١ ، ص ٢٩٦ (مادة : بيض) .

(٥) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٦) الدقدوقى : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٧) جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٣٣ .

(٨) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٩) جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٣٣ .

(١٠) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٣٧ .

(١١) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩٧ .

(١٢) حواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٣٣ .

الترس :

والترس من السلاح : المتوق بها ، وجمعه : أتراس ، وتروس ، وترسة ، والتترس : التستر بالترس ، وتترس بالترس : توق^(١) ، ومن أسمائها جمعاً كما يذكر ابن هذيل : التراس ، والجَوْب ، والفرض ، والجنن ، والمجان ، وأحدها : تُرس ، وجوب ، وفَرَض ، ومِجَن ، ومُجَنَّا^(٢) ، فان كانت من جلود فهي درق ، وجحف ، وأحدها : درقة ، وجحفة ، وقيل : إن الجحف من خشب^(٣) وقيل هي من الجلود خاصة ، وقيل هي من جلود الابل مقورة ، وقال ابن سيده ، هي من جلود الابل يطارق بعضها ببعض^(٤) والدرقة كما يذكر ابن هذيل تصنع من جلود البقر ، وتصنع من جلود الوحش^(٥) ، والجحفة والدرقة : هي الترس الصغير ، والفرض : هي الترس الخفيف^(٦) .

والترس هو المجن لأنه يستجن به^(٧) ، « وعليه تدور الدوائر ، ويقال للمجن (ماكين) (ماجن) Magen في العبرية^(٨) والترس من الأسلحة الواقية وهو كالدرع سلاح قديم عند الأمم القديمة^(٩) . وفي زمن النبي ﷺ استخدم اليهود في خير التروس في معاركهم^(١٠) ، وكانت من الأسلحة الغالية الثمن ،

(١) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٢) أبو عبيد : كتاب السلاح ، تحقيق د. حاتم الصامد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٣٠ .

(٣) ابن منظور : اللسان ، ح ١ ، ص ٥٧٥ (مادة جحف) .

(٤) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٥) الدقوقي : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٦) أبو عبيد : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٧) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٨) جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٣٠ .

(٩) عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

عون : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(١٠) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩٩ .

لايستعملها إلا المحاربون الشجعان المعروفون والمخاربون الموسرون (١) ، وكانت تصنع من الخشب ، ثم يلصق عليها الجلود (٢) ، وقد غمسوها في الزيت حتى لا تتشقق ، وكانت معظم الأتراس عند سكان جزيرة العرب على هيئة قرص دائري ، وبعضها على هيئة مستطيل ذي رأس مدور (٣) والترس يحمله شخص واحد (٤) ، يعلقه المحارب على ظهره أو على كتفه ، فاذا احتاج إليه ، أمسكه باحدى يديه لحماية نفسه من السهام والرماح والسيوف والحجارة (٥) وقد استخدم المحاربون من يهود خيبر سكان الحصون الأتراس ، والدرق ، والجحف في معاركهم التي خاضوها في منطقة الحصون (٦) .

المغفر :

المغفر والمغفرة والغفارة : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة (٧) ، وقيل : هو رفراف البيضة ، وقيل : هو حلق يتقنع به المتسلح (٨) فهو من أسلحة الوقاية ، ينسج نسج الدرع من الحديد (٩) ، ويلبسه الدارع

(١) جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٣٠ .

(٢) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

الدقنوق : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٣) ظاظا وعاشور : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٤) جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٣٠ .

عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ .

(٥) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

ظاظا وعاشور : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٣٠ .

(٦) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩٧ .

(٧) أبو عبيد : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٨) ابن منظور : اللسان ، ح ٢ ، ص ١٠٠٠ (مادة - غفر) .

(٩) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

تحت البيضة ، على الرأس ليكون واقياً لها إذا وقعت أو انكسرت (١) والمغفر يغطي به الرأس والوجه كله ، فلا يظهر سوى العينين (٢) ، كما يقى العنق (٣) ، ويدلّ بعضه وراء الظهر مشدوداً بالخوذة (البيضة) ، ويسمى رفراف الدرع (٤) أو رفراف البيضة ، ويمتد فيرفل على العاتقين (٥) .

ولما كانت المغافر من أهم أدوات الوقاية وأسلحتها ، فقد اهتم بها قادة الحرب في خير ، واستوردوا الجيد منها وبخاصة ما صنع في اليمن ولبسوها ، ففى قتال خير كان مرحب اليهودى يلبس مغفراً يمانياً معصفاً من صنع أهل اليمن (٦) ، أما الحارث اليهودى ، فقد كان فوق رأسه مغفراً ، بينما كان أخوه عامر مقنعاً فى الحديد (٧) .

الرمح والحربة :

وهما من أسلحة اليهود فى خير مشاة وفرساناً (٨) وهما للفراس ألزم (٩) والرمح سلاح ذو رأس حاد يستعمل فى طعن العدو ، وهو يختلف طولاً ووزناً (١٠) وهو من الأسلحة التى شاع استعمالها عند الأمم القديمة وبخاصة عند

(١) الدقيقى : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .
عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

(٢) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٣) ابن منظور : اللسان ، ح ٢ ، ص ١٠٠٠ (مادة : غفر) .

(٤) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٥) ابن منظور : اللسان ، ح ٢ ، ص ١٠٠٠ (مادة : غفر) .

(٦) البيهقى : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢١١ .

الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩٧ .

(٧) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ص ٦٥٧ .

(٨) الواقدى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٢ .

(٩) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(١٠) ابن هذيل : نفس المصدر ، ص ٢٠٧ .

الأمم التي تسكن الصحراء ومنهم سكان جزيرة العرب^(١) والرماح أنواع^(٢) ، واستخدموها يتطلب تدريباً شاقاً ومتواصلاً على العمل بها^(٣) كالتدريب على الحرب ، والحربة هي الرمح القصير ، وهي أنواع أيضاً^(٤) وقد أجاد يهود خيبر سكان الحصون فرساناً ورجالاً القتال بالرماح والحرب مشاة وفوق ظهور الخيل^(٥) واستخدموها بكفاءة عالية أثناء حصار الحصون وأحسنوا القتال والطعن بها ، ويذكر الواقدي أن ياسر اليهودي وكان من أشداء اليهود في قتال خيبر خرج من حصن ناعم لقتال المسلمين ، فهي تستخدم في القتال مواجهة^(٦) . ويذكر الواقدي أن ياسر اليهودي وكان من أشداء اليهود في قتال خيبر خرج من حصن ناعم لقتال المسلمين « وكانت معه حربة يحوش بها المسلمين حوشاً »^(٧) ، وفي موضع آخر يقول : « وأقبل ياسر بحربته يسوق بها الناس »^(٨) ، مما يدل على أنهم تدربوا على القتال بالرماح والحرب تدريباً جيداً ، كذلك تفنن يهود الحصون في صناعتهما وأشكالها ، فإذا كان العرب قد عرفوا رمحاً بشعبتين^(٩) فإن يهود خيبر قد صنعوا واستخدموا في القتال رمحاً ذات ثلاث شعب أو رعووس^(١٠) وشحنوا حصونهم بالكثير منها ، وتؤكد المصادر أن المسلمين غنموا من حصني الوطيح والسلام وحدهما ألف رمح^(١١) .

(١) الدقذوق : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٢) أبو عبيد : المصدر السابق ، ص ١٩ — ٢١ .

(٣) ابن هذيل : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(٤) عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٢ .

(٦) عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٧ .

(٨) الواقدي : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(٩) يوسف خليف . الشعراء الصعاليك ، ص ٢٠٣ .

(١٠) الحلبي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣٧ .

(١١) الصالحى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ .

السيوف :

من أدوات القتال التي استخدمها اليهود في حروبهم منذ القدم ^(١) ، وهي من أمضى وأنبيل الأسلحة التي عرفتها الأمم القديمة ^(٢) كما عرفها العرب في جاهليتهم ، وهي سلاح الفارس والراجل ^(٣) ، وقد اشتهر بصناعتها القيون من يهود خيبر ، فكانوا يحلون بها ، وينقشون عليها أسماء أصحابها وبلغة عبرية ^(٤) ، كما اهتم بها فرسانهم اهتماما كبيرا ، واقتنوا الجيد منها ، وأجادوا القتال والمبارزة بها ، وسلح يهود بها مقاتليهم من الفرسان والرجالة ، وشحنوا حصونهم بأعداد وفيرة منها ، ولما استولى المسلمون على حصنى الوطيح والسلام من يهود خيبر وجدوا في ذينك الحصنين أربعمئة سيف ^(٥) ، وهو عدد كبير بالنسبة لكثافة التسليح آنذاك .

... وعرف يهود خيبر السيوف القواطع فصنعوها ، وقتلوا بها معاركهم ، وكان من أشهر السيوف القواطع اليهودية الخيرية التي تناقل المؤرخون أخبارها هو سيف مرحب اليهودى فارس خيابر المشهور ، وكان سيفاً مصقولاً ، منقوشاً عليه بلغة عبرية اسم صاحبه مرحب ، فقد وجد عليه ما ترجمته : « هذا سيف مرحب من يذقه يعطب » ^(٦) ، وكان هذا السيف مما غنمه المسلمون في

(١) ظاظا وعاشور : شريعة الحرب عند اليهود ، ص ١٤١ .

(٢) جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٢٢ .

(٣) عبد الرحمن زكى : الحرب عند العرب ، ص ٣٦ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٧ .

(٥) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٠٤ .

(٦) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٦ .

قتال خير ، وقد توارثه آل محمد بن مسلمة الأنصارى (١) الذى شهد قتال خير كذلك تشير بعض المصادر إلى أن بعض فرسان اليهود المبرزين فى خير قد نسلح بسيفين أثناء المعارك التى دارت فى منطقة الحصون (٢) وذلك لأن السيف الأصلى قد ينشب فى الترس أثناء القتال ، وقد يلتوى أو يتثلم وقد ينكسر ، فيضطر الفارس إلى استخدام السيف الاضافى (٣) .

الدبابة :

الدبابة من آلات الحرب المخصصة لحصار الحصون وقد شجن بها يهود خير حصنى (ناعم) و (الصعب بن معاذ) بالنطاة ، وتستخدم الدبابة فى الهجوم على الحصون ، يدخل فيها الرجال فيندفعون بها إلى أصل الحصن والأسوار المحصنة لينقبوها بأدوات الحفر (٤) ، وهم فى جوفها ، فتقيهم مايرمون به من فوقهم ، وسميت بذلك لأنها تدفع فتدب ، أى تمشى على مهل ، حتى تصل إلى الحصن المحاصر (٥) .

والدبابة آلة متحركة ، تتخذ من الخشب السميك ، وتغلف باللبود أو الجلود المنقعة فى الخل لدفع النار والوقاية منها ، وتركب على عجل ، وتدفع فتدب (٦) وهى أقدم من المنجنيق ، استخدمها المصريون القدماء ، والآشوريون واليونان ، والرومان ، والفرس (٧) .

ولما كانت الدبابة من آلات الهجوم على المدن والقلاع والحصون ، وليست

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٦

(٢) الحلبى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٢٧ .

(٣) عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ٤٩ ، ١٤٨

(٤) الصالحى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٩٩

(٥) ابن منظور . اللسان ، ج ١ ، ص ٩٣٨ (مادة : دب) .

(٦) الدقنوقى : المرجع السابق ، ص ٢٣٣

(٧) الدقنوقى : نفس المرجع ، نفس الصفحة

من آلات الدفاع، ولما كانت المعركة في خير بالنسبة لليهود فيها معركة دفاعية لاحتياج إلى دبابات ، فإن وجود هذا السلاح في خير ، والعتور على دبابتين في مخزن سرى تحت الأرض في حصن (ناعم) إلى جانب عدد من الدبابات — لم تحدده المصادر — في حصن (الصعب بن معاذ) بالنطاة ، أثار العديد من التساؤلات حول أسباب وجود هذا السلاح في منطقة الحصون ، ومصادر الحصول عليه ، وأهميته بالنسبة لليهود خير .

ولقد أدلى الأستاذ محمد أحمد باشميل بدلوه حول الاجابة عن هذه التساؤلات ، وأوضح أن « الدبابات آلات واقية متطورة لاتستعملها في تلك العصور إلا الجيوش الرومانية (البيزنطية) . والفارسية لكونها أرقى الجيوش تنظيماً في العالم آنذاك، وأضاف أنه « لايدري أحد كيف حصل يهود خير على هذه الدبابات التي لايعرف أن أحداً كان يصنعها أو يستعملها في جزيرة العرب في ذلك الوقت أو قبله » كما « لايستبعد أن يكون يهود خير قد جلبوها من الشام أو أنهم كانت لهم خبرة بصنعها فصنعوها محلياً في خير عندما شعروا بخطر الغزو الاسلامي » (١) .

وإذا كان الأستاذ باشميل يذكر أنه لايدري أحد كيف حصل يهود خير على هذه الدبابات التي لايعرف أحد كان يصنعها أو يستعملها في جزيرة العرب في ذلك الوقت أو قبله « فإنه من خلال دراستنا لتاريخ الأسلحة في هذا العصر نجد أن المصادر الأصيلية في السيرة والمغازي تشير إلى أن صناعة الدبابات كانت معروفة في جزيرة العرب في ذلك الوقت ، وأن يهود خير عرفوا سلاح الدبابات قبل غزوة خير في المحرم / صفر سنة ٧ هـ ، ودلينا على ذلك ما يلي :

أولاً : أن سمالك اليهودي وهو من سكان حصن ناعم بمنطقة النطاة ، وكان قد وقع في أسر المسلمين أثناء قتال خير أخبر النبي ﷺ عن مكان مخزن سرى في هذا الحصن ، وكان اليهود قد وضعوا فيه « آلة حصونهم التي كانوا يقاتلون

(١) باشميل : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

بها بعضهم بعضاً ومن بينها منجنيق مفككة ودبابتان . . وكانت هذه الأسلحة — كما أخبر سماك — يستخدمها اليهود القاطنين في هذه الحصون ضد غيرهم من يهود الحصون الأخرى في الواحة الخيرية ، في المعارك التي كانت تدور بينهم في الجاهلية وقبل غزوة خيبر ^(١) .

ثانياً : أن اليهود في خيبر كانوا يعرفون طريقة القتال بهذه الدبابات والأسلحة المعاونة لها فعندما رأى سماك اليهودي أن النبي ﷺ سينجيه لحصار الحصون بالشق من خيبر ، شرح أمام النبي ﷺ طريقة استخدام الدبابات في قتال أهل الحصون وأسلوب التعاون بين الدبابة والمنجنيق في الهجوم على الحصون قائلاً : « انصب المنجنيق على الشق ، وتدخل الرجال تحت الدبابتين ، فيحفرون الحصن ، فتفتحه من يومك . . وكذلك تفعل بحصن الكتيبة » ^(٢) .
يعنى حصن (القموص) بوادي الكتيبة ^(٣) .

ثالثاً : أن هناك دبابتان ومنجنيق مفككة قد وجدت في حصن ناعم وهو حصن من حصون وادي النظاة حيث تسكن أسرة آل مرحب ^(٤) ، وهي أسرة ذات أصول حميرية يمنية ^(٥) ، ولا يستبعد أن يكون بعض أفراد هذه الأسرة اليهودية قد تعلم صناعات الدبابات في اليمن ثم صنعوها في خيبر ، إذ يذكر كل من ابن هشام والواقدي أن (جُرَش) وهي من مخاليف اليمن كانت تصنع بها الدبابات والضبور والمنجنيق والعرادات وأنها كانت مركزاً لصناعة وتعلم صناعة هذا النوع من آلات القتال ^(٦) ولا يستبعد أن يكون بعضاً من اليهود

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٣) ياقوت : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٤٣٧ .

(٤) ولقسنون : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

(٥) ابن هشام : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٤٨ .

(٦) ابن هشام : السيرة النبوية ، ح ٤ ، ص ١٢١ .

النازليين في خيبر قد تعلموا صناعة الدبابات والمنجنيق من هناك ، مثل غيرهم . أو أن جلبوها من جُرَشْ لأهميتها كسلاح فعال في قتال الحصون واقتحامها ، ولانتنسى أن يهود خيبر كانوا ينتجرون في السلاح (١) .

والمهم أن نؤكد أن جزيرة العرب قد عرفت آلة الدبابة وآلة المنجنيق حيث برع في صناعتها أهل مدينة جُرَشْ ، وإلى هذه المدينة كان يذهب الراغبون في جلبها أو تعلم صناعتها (٢) ، وأن يهود خيبر قد استخدموا الدبابات والمجانيق في المعارك التي كانت تنشب بينهم في منطقة الحصون قبل الاسلام وقبل مقدم قوات النبي ﷺ لغزو الحصون (٣) .

أدوات قتال أخرى

الفأس :

وهي أداة هامة من أدوات القتال التي استخدمها اليهود في حروبهم منذ القدم (٤) ، وتشير المصادر التي بين أيدينا إلى وجود أعداد كبيرة منها مع يهود خيبر إلى جانب المساحي (الجرافات) وهي من أدوات الزراعة (٥) .

العصا :

وكانت أكثر أدوات القتال بساطة وبدائية (٦) ، وتشير بعض مصادرنا في أحداث سنة ٦ هـ إلى أن أسير بن رزام (زارم) أمير اليهود في خيبر ، قد ضرب بمخرش (عصا) من شوحط رأس عبد الله بن رواحة فشججه (٧) .

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٩٢٤ ، ص ٩٦٠ .

(٢) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٩٦١ .

الديار بكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ١١٠ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٤) زكى شنوده : المرجع السابق ، ص ٤٤٦ .

(٥) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٤٤ .

(٦) زكى شنوده : المرجع السابق ، ص ٤٤٦ .

(٧) ابن سعد : المصدر السابق ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ٦٧ .

الحجارة :

وهى سلاح فتاك ، استخدمها اليهود فى القتال ، ونقلوا إلى حصون كميات كبيرة منها ، ليرموا بها أعداءهم من فوق الحصون (١) .

الرحى :

وكان اليهود يدلون بحجر الرحى من فوق الأسوار ويلقونها بغتة على من يخلد من أعدائهم إلى الراحة عند أسوار الحصون طمعا فى ظلها ، فيصيبون منه مقتلا ، وبها أصابوا محمود بن مسلمة الأنصارى فى غزوة خيبر ، فهشموا وجهه عندما اقترب من الحصون ليستظل بأسوارها (٢) .

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٢ ، ٦٦٣ .

(٢) ، الخلبى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣٢ .

الفصل الثالث

عقيدة الحرب وأسلوب التعبئة والقتال
عند اليهود في خير

عقيدة الحرب وأسلوب التعبئة والقتال

الحرب في شريعة اليهود عمل مقدس ، فقائد هذه الحرب فيما يعتقدون هو الرب ، وجنودها هم جنود هذا الرب ، ويظهر ذلك من نصوص التوراة التي بين أيدينا ^(١) . فقد جاء في سفر التثنية ، الاصحاح العشرين « إذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلاً ومراكب وقوماً أكثر منك ، فلا تخف منهم لأن معك الرب إلهك ... لاتضعف قلوبكم ، لاتخافوا ، ولا ترتعدوا ، ولا ترهبوا وجوهمهم ، لأن الرب إلهكم سائر معكم لكي يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم ، ولتكن حربكم مقدسة » ^(٢) .

والقتال فرض عند اليهود ^(٣) ، وانشاء الحصون من أعمال الحرب ، واقامة التحصينات في المستوطنات التي ينزلون فيها عقيدة قتالية راسخة عند اليهود حسبما تأمرهم بها التوراة فيما يعتقدون ^(٤) ، والقرآن الكريم يشير إلى الفكر الحرفي عند اليهود ، وعقيدتهم القتالية في قوله تعالى : « لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جُدُر » ^(٥) .

والقتال فيما يعتقدون مشروع ، وفرض على القادرين ، ويعتقدون أن التوراة أمرتهم أن يقيموا رؤساء جند على رأس الشعب ، وأن يجتمع مقاتلو كل سبط على حدة ^(٦) ، كما أمرتهم باظهار الشجاعة وقوة البأس والقتال بلا خوف ولا رهبة لأن الله سائر معهم وحربهم مقدسة ^(٧) . كما أمرتهم بانشاء

(١) حسن ظاظا ، والسيد محمد عاشور : شريعة الحرب عند اليهود ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٦ م ص ٢٧ .

(٢) سفر التثنية : الاصحاح العشرون فقرة ١ — ٤ .

ظاظا وعاشور : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٣) ————— : نفس المرجع ، ص ٥١ .

(٤) سفر التثنية : الاصحاح العشرون ، فقرة ٢٠ .

(٥) سورة الحشر : آية ١٤ .

(٦) ظاظا وعاشور : المرجع السابق ، ص ٥١ — ٥٣ .

(٧) سفر التثنية : الاصحاح العشرون ، فقرة ٣ ، ٤ .

التحصينات حول قراهم ، والاهتمام بأسلحتهم والاستنصار بحلفائهم والنفقة في الحروب (١) .

وليس هناك دلالة على وجود جيش نظامي عامل متفرغ للقتال والحرب في خيبر ، ذلك أن رجال كل عشيرة من عشائر اليهود في خيبر كانوا هم الذين يتولون الدفاع عن الحصن الذي يمتلكونه ، وهم الذين يأخذون على عاتقهم دعم الحصن الذي يقيمون فيه بالسلاح والمؤن . كما كانوا هم الذين يحملون السلاح دفاعاً عن هذا الحصن في حالة نشوب قتال بين سكان الحصن وجيرانهم من العشائر اليهودية الأخرى في منطقة الحصون (٢) فقد أشارت بعض المصادر إلى أن هذه العشائر اليهودية كانت بينها إحن وعداوات (٣) ، وأن قتالاً قد نشب بينهم قبل الاسلام ، وأن الأسلحة التي شحنت بها الحصون قد استخدمت في هذه المعارك (٤) بل أن هذه المصادر تشير إلى أن كلمتهم ليست سواء ، وأنهم يختلفون ويثرون كثيراً من الجدل حول الأسلوب الذي يجب أن يسلكوه لمواجهة خصومهم (٥) .

أما عندما تتعرض الواحة وقراها وحصونها لخطر خارجي . فقد كانت تعلن التعبئة العامة بين أهل الحصون جميعاً ، وتستنفر العشائر اليهودية كلها في خيبر ويتأهبون متسلحين مستعدين (٦) ، إذ أن أمر الدفاع عن الواحة وقراها وحصونها يستلزم أعداداً كبيرة من المقاتلين وتضامناً بين كل النازلين فيها .

(١) سفر التثنية : الاصحاح العشرون ، فقرة ٢٠ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ ، ٦٥٠ .

ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢٥ .

ولفئسون : المرجع السابق ، ص ١٦٨ ، ١٧١ .

(٣) الزرخشري : الكشف ، بيروت ، دار المعرفة ، مجلد ٤ ، ص ٨٥ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ .

(٥) الواقدي : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ ، ٦٤٧ .

(٦) ابن حجر : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٤١٩٩ ، رقم ٥٣٥ .

وتشير المصادر الإسلامية إلى غزو وتعاضم القوة الحربية لليهود في خير منذ نزول يهود بني النضير فيها في شهر ربيع الأول سنة ٤ هـ ، وحتى حصار المسلمين لمنطقة الحصون في المحرم سنة ٧ هـ / ٦٢٨ م . وعلى الرغم من أنه ليس لدينا بيان بأعداد اليهود القادرين على حمل السلاح في العام الثالث من الهجرة أى قبيل نزول بني النضير في منطقة الحصون ، إلا أن هناك من يهود خير من قَدَّر عدد المقاتلين فيها في نهاية العام الرابع من الهجرة بأربعة آلاف مقاتل ^(١) . أثبتت حوادث شهر ذى الحجة من نفس العام أن ثلاثة آلاف منهم كانوا على استعداد تام للدفاع عن الواحة ومطاردة العدو بمجرد استنفارهم حالة تعرض الواحة لهجوم مفاجئ ^(٢) ، كذلك تشير المصادر إلى أن قوة اليهود الحربية في خير قد بلغت الذروة وتعاضمت حتى وصل عدد المقاتلين من اليهود الحيايرة في المحرم سنة ٧ هـ / ٦٢٨ م ، عشرة آلاف مقاتل ^(٣) .

وقد تطلب هذا الجشد الكبير من المقاتلين أسلوباً لترتيب مواضعهم ، وتحركاتهم وتجهيزهم للحرب ، ووضعهم في حالة استعداد للقتال ، فتشير المصادر التي بين أيدينا إلى أن هؤلاء المقاتلين العشرة آلاف ، كانوا يصطفون صفوفاً استعداداً للقتال عندما يستشعرون الخطر ، وأنهم كانوا يقومون في الليل قبل الفجر فيتلبسون السلاح ، ويصفون الكتائب ^(٤) ، فقد أخذوا بنظام تكتيل المقاتلين وتقسيمهم إلى كتائب تنظيمياً لجموعهم ، وللقاء الرعب في نفوس أعدائهم ^(٥) ، ثم ينتظرون الصباح لملاقاة العدو حتى لايفاجأوا به حيث تكون الغارات في وجه الصباح في الغالب ، كما أنهم تلبسوا السلاح في الليل خوفاً من أن يؤخذوا بغتة ^(٦) .

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٩١ .

(٢) ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٤ .

(٤) الواقدي : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٤٢ .

الصالحى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤١٦ .

(٥) جواد على : المفصل ، ج ٥ ، ص ٤١٦ .

(٦) جواد على : نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ٤٠٣ .

وكان هؤلاء المقاتلين قائد عام يقودهم في الحرب هو أميرهم ^(١) وهو « صاحب حربهم » ^(٢) ، وكانوا يختارونه من أشرفهم وزعمائهم الذين اكتسبوا خبرة في المعارك وأساليب القتال ، وإذا مات أو قتل « صاحب حربهم » اختاروا خلفاً له من كبارهم ، ومن أمثال هؤلاء القادة الحرييين: سلام بن أبي الحقيق ، وأسير بن رزام ، وسلام بن مشكم ، والحارث بن زبيب ، وكنانة بن أبي الحقيق ^(٣) ، وهؤلاء كانوا من « عظماء اليهود » ^(٤) وكانوا هم القادة الذين يضعون خطط الحرب ^(٥) ، وينظرون في الخطط الحربية المقدمة لهم من حلفائهم ، ويحرضون الناس على القتال قبيل بدء المعارك . ويوجهونهم أثناء القتال ^(٦) ، كما كان لهم صلاحيات إعطاء عهود الأمان لهفود الخصوم القادمة إلى خيبر لأجراء المفاوضات بهدف تحسين العلاقات ^(٧) ، كما كان لهم صلاحيات عقد الصلح وإبرام العهود ، وعقد المحادثات ^(٨) .

كذلك كان هناك قادة لكثائب اليهود يتقدمونهم عند القتال . وكان هؤلاء

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤ .

ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٨٠ .

(٣) الواقدي : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٤ ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ ، ٦٥٧ .

ابن سعد : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٦٦ .

وات : محمد بن أبي ندية ص ٣٣٣ .

ولفستون : ارجع السابق ، ص ١٦٥ ، ١٧١ .

(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٧ .

الديار بكري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

(٦) الديار بكري : نفس المصدر والصفحة .

(٧) المواهب اللدنية ، ج ٨ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٨) الصالحى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ .

الخلعي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٢٦ ، ٩٣٠ .

الزرقاني : شرح المواهب اللدنية ، ج ٨ ، ص ١٧٠ .

القادة ممن يظهرون الشجاعة ، والمهابة ، والاقدام ، والقدرة على المبارزة والقتال بشراسة (١) .

ويتضح لنا من خلال تتبعنا للمعارك التي دارت في منطقة الحصون في المحرم وصفر من العام السابع من الهجرة أن كل عشيرة من من العشائر اليهودية التي سكنت خيبر كانت هي المكلفة بالدفاع عن المنطقة التي تسكن فيها والحصن الذي تمتلكه والأموال التي في حصنها (٢) ، وذلك وفقا لشريعة الحرب عند اليهود ووفق ما تأمرهم به توراتهم (٣) . فقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن منطقة النطاة تولى الدفاع عنها رجال من عشيرة (آل مرحب) القاطنين فيها والمالكين لحصونها. وأنه كان يتقدم كل كتيبة من كتائبهم قائد من ألمع فرسانهم وهو قائد الكتيبة أو مايعرف بـ (صاحب عادية اليهود) (٤) والمراد به قائد الأكابر من المبارزين (٥) ، وجميعهم من يهود منطقة النطاة وينتسبون إلى عشيرة (آل مرحب) ، كما وجدنا (آل أنى الحقيق) يدافعون عن منطقة الكتيبة (٦) حيث « كانت لهم رئاسة القموص » أعظم حصون تلك المنطقة (٧) وأنه قاد الدفاع عن تلك المنطقة ، وعن منطقة السلام حيث (حصن سلام) ، كنانة

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٣ .

الخلبي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٣٢ ، ٧٣٩ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦١ .

ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، ح ٣ ، ص ٣٢٥ .

ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٣) ظاظا وعاشور : المرجع السابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .

زكى شنودة : المجتمع اليهودي ، القاهرة ، ص ٤٥٤ .

(٤) الذهبي : المغازي : ص ٣٤٥ .

(٥) الشيباني : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٧٢ .

(٦) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٧) ابن سعيد : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، عمان ، الأردن

١٩٨٢ م ، ح ٢ ، ص ٨٢٢ .

ابن أبي الحقيق سيد آل أبي الحقيق وصاحب (حصن سلام) (١) ، وإذا كان
المقاتلون اليهود يجتمعون خلف فارس منهم وكل عشيرة على حدة فلان قراءة في
شريعة الحرب عند اليهود قد أشارت إلى أن هذه عادة قديمة وتشريع عند
اليهود (٢).

وكان اليهود في خيبر إذا بوغتوا بالقتال أو توقعوا هجوماً ، وأرادوا
الاجتماع ، وجمع العشائر وحشد الرجال للقتال ، أى أرادوا التعبئة للحرب
أوقدوا النيران في كل جهة (٣) ورفعوا شعل السعف (٤) ، وهى ما عرف بـ
(نيران الحرب) (٥) ، فعندما باغت عبد الله بن عتيك ورجال سريته ، قائد
اليهود وأميرهم في خيبر المسمى أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ، قتلوه ليلاً في
حصنه في ذى الحجة سنة ٤ هـ (٦) ، خرج ثلاثة آلاف رجل من اليهود يحملون
الشعل وجَدُّوا في طلب أفراد السرية التى هاجمت بغتة زعيمهم في عقر داره (٧).

(١) الواقدي : المغازي ، ج ٢ ، ص ٦٧٠ .

ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، ج ٣ ، ص ٣٢٥ .

الصالحى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ .

(٢) ظاظا وعاشور : المرجع السابق ، ص ٥١ .

فؤاد حسين : المجتمع الاسرائيل حتى تشريده ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٥٨ .

ركى شنودة : المرجع السابق ، ص ٤٥٤ .

(٣) ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

الطبرى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٦ .

ابن عبد البر : الدرر ، ص ١٨٥ .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٩٣ .

(٥) السويدى : سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٦ هـ /

١٩٨٦ م ، ص ٤٦٣ .

(٦) ابن شبة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ .

البهقى : دلائل النبوة ، ج ٤ ، ص ٣٦ .

ابن كثير .

(٧) الواقدي : المغازي ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

كما كان البعض من يهود خيبر يقفون على الأسوار العالية يتصايحون طلباً للنجدة عندما تلم بهم كارثة مفاجئة^(١)، كما كانوا يوقدون النيران بالليل على الأتام عند الفزع « ولا يبق أطم من آطامهم إلا أوقدت عليه نار »^(٢).

وعرف اليهود في خيبر (البيات)^(٣)، وهو الاغارة بالليل على عدوهم فجأة للإيقاع به والنهب^(٤)، وذلك عندما تتعرض الحصون للحصار، بهدف فك الحصار والفتك بالعدو الرابض أمام الحصون، وكانوا يستترون بالدخول في تخمر (لفائف) النخل، ثم ينقضون على عدوهم بغتة، فعندما نزل الرسول ﷺ بقواته أمام حصون النطاة « بين ظهري النخل والنز »، قال له الحباب بن المنذر، وكان خبيراً عسكرياً له يهود النطاة معرفة: « إني لا آمن من بياتهم، يدخلون في تخمر النخل، تحول يارسول الله إلى موضع ... نجعل الحرة بيننا وبينهم »^(٥)، وذلك ليتفادى (بيات) اليهود.

وكان التجسس من وسائل اليهود في الحرب^(٦)، ومن ثم عرف يهود خيبر العيون والجواسيس، ودفعوا برجال من قبائل شتى للعمل في مجال الاستخبارات^(٧)، فقد أدركوا ضرورة الاستخبارات نظراً لما لها من أهمية بالنسبة لأمنها واستقرارها، وللمعرفة أحوال أعدائهم ومخططاتهم، وللحصول على معلومات عن قواتهم ومواقعهم، ودرجة استعدادهم للحرب،

(١) ابن عبد البر: الدرر، ص ١٨٥.

المقرئى: امتاع الاسماع، ج ١، ص ١٥٥.

(٢) الشيباني: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٥.

(٣) الشيباني: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٣.

الطبرى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩٨.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ١٦ (مادة : بيت).

(٥) الواقدي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٤٣.

(٦) زكى شنودة: المجتمع اليهودى ص ٤٥٠.

(٧) الواقدي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٤١.

واستخدموا في هذا المجال رجالاً من حلفائهم من الغطفانيين ، ومن يهود المدينة ^(١) وكذا من بالمدينة من المنافقين ^(٢) ، كما كانوا يدفعون بطلائع من يهود منطقة الحصون للتجسس إذا لزم الأمر ^(٣) ، وكانوا يرسلون جواسيسهم وغيونهم في صور شتى كهينة تجار ^(٤) ، أو كهينة رعاة ^(٥) ، أو سرايا استطلاعية ^(٦) للتجسس ولاستراق الأخبار ، وجمع المعلومات عن قوته ، وعدده ، وتسليحه ، ونقاط ضعفه ، فقد وجدنا من كتاب المغازي من يذكر أن من بقى في المدينة من يهود بعد خروج بنى النضير كانوا عيوناً للخيايرة ، « وأن يهود يثرب بعثوا أعرابيا من أشجع وجدوه بالمدينة ، قد قدم بسلعة يبيعها ، فبعثوه إلى كنانة بن أبي الحقيق يخبرونه « بقلة عدد المسلمين ، وقلة خيلهم وسلاحهم ، ووقوف خصوم النبي ﷺ من قريش والعرب إلى جانبهم ، وينصحونه والخيايرة بالصدق عند اللقاء لينصرفوا عنهم ^(٧) . كما تذكر بعض المصادر أن عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة كان عينا لليهود خير ، يرسل بأخبار جيش النبي ﷺ إلى الرؤساء الخيايرة ^(٨) ويذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ أثناء سير المسلمين إلى خير ، بعث عباد بن بشر « في فوارس طليعة ، فأخذ عينا لليهود من أشجع ^(٩) » تظاهر بأنه يبحث عن إبل ضلت له ، ويطلب طعاماً يتقوى به ، وكان كنانة بن أبي الحقيق أحد رؤساء

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤١ .

(٢) الديار بكرى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

(٣) الحلبي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣٣ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٢ .

(٥) الواقدي : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٤١ .

(٦) الحلبي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣٢ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤١ .

(٨) الديار بكرى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

الحلبي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣٠ .

(٩) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤١ .

اليهود في خير قد دفعه للتجسس على جيش المسلمين لمعرفة عدده ، وسلاحه ، ثم يمارس الحرب النفسية باشاعة قوة الخيابة بين المسلمين ، وقد دفعه كنانة قائلاً له : « اذهب معترضاً للطريق ، فانهم لا يستنكرون مبانك ، واحذرهم لنا . وادن منهم كالسائل لهم ماتقوى به ، ثم الق إليهم كثرة عددنا ومادتنا فانهم لن يدعوا سؤالك ، وعجل الرجعة إلينا بخبرهم » (١) .

وإذا ما اضططر اليهود للخروج لقتال عدوهم أمام أسوار الحصون . فإنهم يدفعون إلى ساحة القتال بالأشداء من مقاتليهم ممن يتسمون بالشجاعة ويتميزون بالقوة (٢) والخبرة القتالية (٣) كما حرصوا وفق ما تأمرهم به توراتهم على أن يكون هؤلاء المقاتلين مدججين بالسلاح ، مقنعين في الحديد ، في هيئة مهيبة ، وصورة بشعة مخيفة ، تثير الرعب ، وتزلزل الأرض بصيحات الحرب ، يتحدثون فرسان الخصوم ، فتصف بعض المصادر (عامر اليهودي) أحد فرسان يهود النطا في معارك خير ، حال خروجه للقتال بأنه كان رجلاً طويلاً جسيماً .. طوله خمسة أذرع .. يخطر بسيفه ، وعليه درعان ، مقنع في الحديد يصيح : من يبارز ؟ (٤) ، كما تصف المصادر (مرحب اليهودي) سيد اليهود في خير حال خروجه للمبارزة بأنه كان « كالفحل الصؤول » (٥) بينما تصف فارس يهودي ثالث بأنه كان « كالذقل » (٦) ، أما الحارث أبو زينب فقد تقدم كتائب

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤١ .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٩ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٧ .

الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٥٠ .

(٥) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٥ .

(٦) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٦٢ .

اليهود في قتال خير وهو « يهذ الناس هذا » (١) ، « ويهذ الأرض هذا » (٢) .

ولقد اهتم المقاتلون اليهود في خير بسحب جثث قتلاهم من ساحات المعارك، وبذلوا أقصى الجهود لحمل جثث القتلى من ميادين القتال وادخالها في الحصون بأسرع مايمكن وفي أقرب فرصة ، وينفرد الواقدي برواية لعبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله عن أبيه الذي شهد القتال الضارى بين المسلمين ويهود أمام (حصن الصعب) بمنطقة الشق ، يقول جابر : « وقد قتلنا منهم على الحصن عدة ، كلما قتلنا منهم رجلاً حملوه حتى يدخلوه الحصن » (٣) .

وقد يتساءل القارىء عن سر اهتمام يهود خير بسحب جثث قتلاهم بسرعة من ميادين القتال ؛ إن للدفن عند اليهود طقوساً خاصة يجب اتباعها حتى لا تنزل اللعنة على الميت وعائلته ، فإذا حدث ومات الجندي وهو في ساحة الوغى، فإنه من الواجب دفنه بأسرع مايمكن ، وأنه يجب ألا تمر بضع ساعات على موته حتى يدفن على أرض يهود ، فإذا لم يتمكن المقاتلون اليهود من استرداد قتلاهم ودفنهم في أرض يهودية ، فإن الدفن لا يعتبر على طريقة شرعية في نظر الشريعة اليهودية ، كما أنه في نظر الديانة اليهودية تبقى روح الميت هائمة على وجه الأرض (٤) ، فعدم الدفن أشنع شيء يتلى به الميت (٥) ، وعار عظيم (٦) ، كما أن دفن الجثة بسرعة من الأمور اللازمة لأن حرارة الجو تحتم المبادرة إلى دفن الجثة (٧) .

وغالباً ما تبدأ المعركة بالمبارزة ، فيخرج المقاتل متبخترا تباهيا بنفسه ، يخطر

(١) المقرئى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٣٨ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٣ .

(٣) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٦٣ .

(٤) طاعا وعاشور : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٥) فؤاد حسنين : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٦) زكى شنودة : المرجع السابق ، ص ٥١٨ .

(٧) فؤاد حسنين : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

بسيفه ^(١) ، أى يهزه معجبا بنفسه متايلاً فى مشيته متعرضاً للمبارزة ^(٢) ، متحدياً ، يطلب المبارزة ويرتجز الشعر ، متفاخراً بنفسه وسلاحه وشجاعته وقهره الفرسان ^(٣) ، كذلك تذكر المصادر التى بين أيدينا أن المبارزين من يهود خيبر ممن كانوا يظهرون الشجاعة كانوا يُعلمون أنفسهم عند القتال، بأن يجعلوا لأنفسهم علامات ^(٤) كعصابة أو ريشة يضعونها فوق مغافرهم ليشتروا بها ^(٥) ، ومن فرسان يهود الذين كانوا مُعلمين فى المعارك التى دارت فى منطقة الحصون الخيرية : الحارث أبا زينب ، وياسر ، وأسير ، وعامر ، وكلهم فرسان ينتسبون إلى (آل مرحب) العشيرة اليهودية التى كانت تسكن منطقة النطاة ^(٦) .

ويبدو أن المقاتلين اليهود فى منطقة الحصون فى خيبر كانوا يحملون معهم أثناء الخروج للقتال نسخاً من التوراة ، كما تأمرهم توراتهم ، إذ ينفرد الواقدي بهذا السبق عندما يذكر أن النبی ﷺ عندما استعمل على الغنائم فى غزوة خيبر فروة بن عمرو البياضى ، وأمره بجمع ماغنمه المسلمون من منطقة الحصون ، « جمعت يومئذ مصاحف فيها التوراة ، فجاءت اليهود تطلبها وتكلم فيها رسول الله ﷺ أن ترد عليهم » ^(٧) ، ولقد ذكرت هذه الرواية فيما بعد بعض المصادر الإسلامية ^(٨) .

(١) الشيباني : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٧٣ .

اليهقي : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢١٦ .

(٢) ابن منظور : اللسان ، ح ٢ ، ص ١١٩٦ (مادة : خطر) .

(٣) الشيباني : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٧٣ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥٤ .

(٥) جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٤٤١ .

(٦) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩٥ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٨٠ ، ٦٨١ .

(٨) الديار بكري : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٠ .

الحلى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤٥ .

واتخذ اليهود في منطقة الحصون شعارات ونداءات خاصة بهم يتنادى بها محاربون ويتعارفون بها أثناء القتال وبخاصة في ظلمة الليل^(١) ، إذ كان اتخاذ شعارات والنداءات من أساليب التعبئة للحرب عند الجاهليين وفي صدر الاسلام^(٢) ، كما كان من مستلزمات القتال عند اليهود^(٣)، وكان اتخاذ الشعار ضروريا لكي يعرف المقاتل اخوانه الذين يقاتلون حوله ، كما كان مهما عندما يقع المقاتل أو جماعة من المقاتلين في محنة أثناء القتال ، فيتصاحج بالشعار طلبا للنجدة ، كما كان المحاربون يتصاحجون بالشعارات أثناء القتال لايقاظ الهمم ، ورفع المعنويات ، وإذكاء النيران في القلوب ، واستثارة الحماس والنخوة ، وكان شعار يهود خيبر ونداءاتهم أثناء القتال التي دار في منطقة الحصون ضد قوات النبي ﷺ (يا آل خيبر)^(٤) .

ولما كانت الشريعة اليهودية تحرم على المحاربين اليهود الدخول بعرائسهم وتجنب النساء أثناء القتال^(٥) ، فإن المقاتلين من يهود خيبر قد التزموا بتلك التشريعات إذ تشير المصادر العربية إلى أن صفية بنت حبي بن أخطب كانت لزوجة لسلام بن مشكم^(٦) القائد العام لقوات اليهود في خيبر « وصاحب

(١) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٤٥ .

حبيب ريات : اليهود في الخلافة العباسية ، مجلة المشرق ، السنة السادسة والثلاثون ١٩٣٨ م ، ص ١٥٤ .

(٢) فاروق فوزى : الرايات وشعارات الحرب عند العرب في صدر الاسلام ، موسوعة الجيش والسلاح ، بغداد ١٩٨٨ م ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .
جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ح ٥ ، ص ٤٤٠ .

(٣) ظاظا وعاشور : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٤) حبيب ريات : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(٥) ظاظا وعاشور : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٦) ابن عبد البر : الاستيعاب ، ح ١٣ ، ص ٦٢ .
ابن الأثير : أسد الغابة ، ح ٥ ، ص ٤٩٠ .

حريمهم»^(١) ، ولما فارقها سلام تزوجها كنانة بن أبي الحقيق^(٢) إلا أنه لم يدخل بها^(٣) ، إذ أن الشريعة اليهودية كانت تعتبر الفتاة المخطوبة في حكم الزوجة^(٤) وينفرد الامام أبو الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ) في كتابه (السير الكبير) برواية يذكر فيها أن النبي ﷺ لم يسب من نساء خيبر غير صفية وابنة عم لها ، وأنه «أمسك صفية لنفسه وهي عروس بحدثنان مادخلت على زوجها»^(٥) .

وكان رعوساء العشائر في خيبر والزعامات اليهودية من أولى الرؤى في السياسة والحرب ، يجتمعون في ناديتهم في خيبر^(٦) أو في حصن لقائد من قادتهم^(٧) . فيما يشبه مجلس حرب ، لمراقبة ما يدور حولهم من أحداث حربية تتصل بأنهم ، وللتنظر فيما يتخذ من اجراءات حربية وسياسية وقد شهد ناديتهم هذا وبعضاً من حصونهم مناقشات هامة في أمور الحرب ، وتوجيه السياسة ، واعداد خطط الحرب ، كما شهد هذا النادي أيضاً معارضون ومؤيدون لما يتخذ من قرارات وسياسات ، وفي هذا النادي استقبل زعماء اليهود في خيبر العميون والجواسيس واستقبلوا أهم الأخبار والأحداث التي تهمهم ، كما شهد هذا النادي بعض المشروعات الحربية التي عرضها بعض كبار السادة اليهود القاطنين في الواحة الخيبرية^(٨) .

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٨٠ .

(٢) ابن حجر : الإصابة ، ح ٣ ، ص ٦٤ .

ابن حجر : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ح ٢ ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، حديث ٤٢٠١ ، ص ٥٣٦ .

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٣٢ .

(٤) سفر التثنية : الاصحاح الثاني والعشرون ، فقرة ٢٣ ، ٢٤ .

زكي شتودة : المرجع السابق ، ص ٤٧٦ .

(٥) الشيباني : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٨١ .

(٦) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٥٣٠ .

(٧) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٧٩ .

(٨) الواقدي : نفس المصدر ، ح ١ ، ص ٥٣٠ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ .

وأما عن تسليح الفرسان فهالك تسليح الفارس مرحب ، أشهر الفرسان اليهود في منطقة الحصون . حال خروجه لقتال المسلمين أمام حصون النطاة فقد لبس درعين ، وتقلد سيفين ، واعتم بعمامتين ، ولبس فوقهما مغفراً يمانيا ، وحجراً قد ثقبه قدر البيضة ، ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان ، يرتجز الشعر ، ويتحدى الخصوم ^(١) .

ويبقى أن نشير إلى أن الفرسان كانوا يمتطون الجياد المدربة على القتال والكر والفر في ساحات الوغى . وهناك المقاتلون من المشاة الذين كانوا يتسلحون بالدروع ، ويتقلدون السيوف ^(٢) ، ويقبضون على الرماح والحراب ^(٣) ، وهناك الرماة المدربون على رمى السهام والنبال، ومنهم المهرة الذين قلما يخطئون الهدف ^(٤) يرمون بها من فوق الحصون ، كما كان هناك المقاتلون الذين يجيدون استخدام المنجنيقات والدبابات وغيرها من الأسلحة ^(٥) ، وقد يفاجئون عدوهم بالقاء الرمح عليه إذا ما ركن أحدهم للراحة مستظلاً بأسوار الحصون ^(٦) ، ولا ننسى أن اليهود في خيبر كانوا يصنعون السلاح ، كما كانوا يتجرون في الأسلحة ، وانهم استوردوا بعضها من اليمن ^(٧) ، والبعض الآخر من

(١) الذهبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .

الخللي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٣٧ .

(٢) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٩٧ .

(٣) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٢ .

(٤) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٤٣ ، ٦٦٣ ، ٦٦٧ ، ٦٧٠ .

(٥) الخللي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٣٣ .

(٦) ابن هشام : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٤٤ .

الفيروزآبادي : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٧) البيهقي : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢١١ .

الشام^(١) لبيعها للعرب أو تأخيرها^(٢)، أو لتهديد وتخويف من يطمع فيهم ، أو لاستخدامها ضد خصومهم عندما تحين ساعة القتال^(٣) .

ولقد استخدم اليهود النازلين في خير المال في النفقة والاعداد للحرب واستتصار القبائل والحلفاء^(٤) فتشير المصادر إلى « صاحب كنزهم » وهو الذى يتعهد الكنز (المال) الذى كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائهم ومايعرض لهم ، وكان حليا^(٥) ، كما تشير المصادر إلى كنانة بن أئى الحقيق النضرى الذى أخذ يهود النبی ﷺ أثناء خروج بنى النضير من المدينة ، وقد أمسك بمسك جمل مملوءاً ذهباً وجوهر قائلاً له : « هذا مما نعهده لرفع الأرض وخفضها »^(٦) ، وعندما سقطت الحصون الخيرية في يد النبی ﷺ سأل أولاد أئى الحقيق عن (مسك الجمل) ، فقالوا : « أنفقناه في الحرب ، فلم يبق منه شيء »^(٧) ولما سألهم النبی ﷺ عن آنية الفضة والأموال الكثيرة والدنان التى كانت مملوءة بأنواع من الحلى والجوهر قالوا له : « ذهبت في الحرب يا أبا القاسم ، اما كنا نمسكها لمثل يومنا هذا ، فلا والله مابقى عندنا منها شيء وحلفوا على ذلك »^(٨) .

ولقد استفاد اليهود في خير من (قاعدة الأحلاف) — أى عصية الحلف — عند الجاهليين لدعم قواهم الحربية ، فتحالفوا مع كبرى القبائل والقوى

(١) باشميل : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٠ .

(٣) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٤٠ .

(٤) ابن سيد الناس : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ١٣٨ .

الذهبي : المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .

(٥) الصالحى : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٥٩ .

الحلى : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٦) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧١ .

(٧) ابن شبة : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٤٦٦ .

(٨) الشيباني : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٢٧٩ .

العربية والتجمعات اليهودية في الحجار ونجد^(١) ، واستعانوا بالجرارين من الغطفانيين^(٢) ، وعقدوا معهم صفقات ومحالفات يتم بموجبها منح هؤلاء الأعراب — الذين كانوا يطمعون في الحصول على ثمار الواحة — شطراً من الثمار^(٣) ، مقابل أمداد يهود خير بالرجال للاشتراك معهم في تنفيذ سياساتهم الحربية في الخارج — أي خارج خير —^(٤) ، والقتال إلى جانب اليهود دفاعاً عن الواحة ومنطقة الحصون في الداخل^(٥) ، ومن ثم اضطر اليهود الخيابة في بعض الأحيان إلى أن يحولوا شطراً من اقتصاد الواحة وثمارها إلى اقتصاد حرب ، وجعلوه في خدمة مشروعاتهم الحربية ، والحصول على عشرة آلاف مقاتل من حلفائهم يؤازرون قواهم الحربية^(٦) أو يقاتلون معاركهم إذا لزم الأمر^(٧) .

ومن الجدير بالذكر أن يهود خير وقادتهم الحريين كانوا حريصين على أسرار حصونهم ، وعلى ألا يكتشف أحد مواطن الخلل فيها ، أو مواطن الوهن

(١) ابن عبد البر : الدرر ، ص ١٩٧ .

ابن القيم : زاد المعاد ، ج ٣ ، ص ٣٣٧ .

الذهبي : المغازي ، ص ٢٨٧ ، ٣٠١ .

(٢) ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

ابن حبيب : المحبر ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٥ .

البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٨ ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

الطبري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٦٦ .

البيهقي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٨ ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

(٥) الطبري : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩ .

ابن سيد الناس : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٦) الصالحى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٦٤٢ .

السهيلى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٥٠٢ .

في التحصينات ^(١) كما كانوا حريصين على خفاء أسلحتهم في مخازن وبيوت سرية لا يفتن العدو إلى كشف أماكنها ^(٢) ووزفروا كميات كبيرة من الأسلحة ^(٣) ، واستوردوا البعض منها ^(٤) ، كذلك حرصوا على أن يفاجئوا عدوهم بأسلحة متطورة لم يسبق لأهل الحجاز استعمالها أو الحصول عليها أو مواجهتها في معارك سابقة ^(٥) ، كما اهتموا اهتماماً بالغاً بتوفير الطعام والأعلاف بكميات كبيرة ^(٦) ، وعملوا على توفير المياه في الحصون وذلك بتأمين مصادرها من العيون والآبار وإخفاء الدبول التي تمد الحصون بالمياه بحيث لا ينقطع عنها الماء ، وذلك حتى تتمكن الحصون — إذا ما فوجئت بالقتال أو الحصار أن تصمد لحصار طويل ^(٧) . فلقد أشارت المصادر إلى أن يهود خيبر كانوا يندجأون إلى أسلوب الحرب الدفاعية عندما يدور القتال على أرض الواحة ، حيث يتمركزون في الحصون ، ويقاثلون من الأبراج أو القلاع أو من خلف الأسوار ^(٨) ، أما إذا ما اضطروا إلى الإصحار والخروج للقتال خارج الحصون والجدران ^(٩) ، فإن الرماة فوق الأسوار يمحطون عدوهم الرابض أمام أسوار الحصون بالنبل (السهام) والحجارة « ساعة سراعاً » ^(١٠) ، « رميا كثيرا » ^(١١) حتى يظن عدوهم ألا يُقْلَعُوا ، ثم تنسال عاديات اليهود التي تضم

(١) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤٦ ، ٦٥٠ .

(٢) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٤٧ .

(٣) المقرئ : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٤) البيهقي : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢١١ .

(٥) باشميل : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٦) الحلبي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٧٤٠ ، ٧٤١ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٤٠ .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ح ٤ ، ص ١٩٨ .

(٨) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٣٨ .

(٩) الشيباني : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٧٣ .

(١٠) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٢ .

(١١) الواقدي : نفس المصدر ، ح ٢ ، ص ٦٦٣ .

الأكابر من المبارزين ، وتخرج الكتائب^(١) ويتدفق المحاربون للقتال في كتائب ،
مظهريين الشجاعة ، ويحملون على عدوهم « حملة رجل واحد »^(٢) ، « حملة
منكرة » لكشفه عن مواضعه وزحزحته بعيداً عن الحصون^(٣) ، أما في حالة
فشل الهجوم فانهم يولكون الأدبار ، ويرتدون مسرعين ، فيدخلون في الحصون
ويغلقون الأبواب^(٤) ، وليبدأ الرماة من أعلى الأسوار فصلاً جديداً متواصلاً من
الرمي الكثير بالجنادل (الحجارة) لحسر تقدم الخصوم وأبعادهم عن أسوار
الحصون^(٥) .

ولجأ اليهود في خير كغيرهم من يهود إلى اغتيال قادة أعدائهم للتخلص
منهم ، ولاضعاف جبهة الخصوم ، وأعدوا لذلك الخطط والمؤامرات^(٦) ،
فتشير المصادر التي بين أيدينا إلى أن (أسير بن زارم) (أسير بن رزام) أحد
أمرأء اليهود في خير ومعه ثلاثون من رجالهم قد هموا غدرًا بقتل الوفد الذي
أرسله النبي ﷺ برئاسة عبد الله بن رواحة في شوال من العام السادس من
الهجرة عند عودته من خير ، وكان الوفد قد ذهب إلى هناك لتحسين العلاقات
مع اليهود^(٧) ، كذلك تشير هذه المصادر إلى تلك المؤامرة التي أعدها اليهود في
خير لقتل النبي ﷺ والتخلص منه^(٨) « بسم لا بطنى » في شاة مصلية^(٩) ،

(١) الشيباني : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٧٢ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٣ .

(٣) المقرئ : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٤١ .

(٤) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٦٣ .

(٥) المقرئ : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٣٨ ، ٢٤١ ط .

(٦) ابن عبد البر : الدرر ، ص ٢٠٤ .

(٧) ابن سعد : المصدر السابق ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ٦٧ .

البلاذري : أنساب الاشراف ، ح ١ ، ص ٣٧٩ .

الذهبي : المصدر السابق ، ص ٣٠١ .

(٨) عروة بن الزبير : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٩) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٧٧ .

احتالت في اهدائها إليه زينب بن الحارث اليهودية — وهي بنت أخى مرحب ،
وزوجة القائد اليهودى سلام بن مشكم ، وذلك بعد أن أعطاهم النبی ﷺ عهد
أمان ، وعقد صلحاً مع بعض زعمائهم فور سقوط الحصون وفتح خيبر وانتهاء
الحرب (١) .

وكان يهود خيبر يماكرون عدوهم باطالة أمد الحرب والقتال والانتظار
أمام الحصون ، لاستنزاف قواه ، وحتى يمل قتلهم ويأس من معركة فاصلة
معهم ، فينصرف عنهم (٢) ، وهذا الأسلوب في القتال لم تكن تتحمله تجهيزات
الحرب وأساليب القتال عند عرب الحجاز أو قبائل نجد آنذاك ، فضلاً عما
يسببه هذا الأسلوب من اجهاد للمقاتلين من الأعراب الذين لم يألفوا ضرب
الحصار أو الانتظار طويلاً أمام سوار الحصون (٣) ، غير أنه لم ينجح في كسر
هذا المخطط الحربي وأسلوب القتال عند اليهود الخيابة ، والتغلب على المعتقد
الحربي وأسلوب القتال عند اليهود إلا جيش النبی ﷺ أثناء آخر الحروب التي
شهدتها منطقة الحصون بين المسلمين واليهود في العام السابع من هجرته ﷺ ،
والتي انتهت بسقوط الحصون ، وانتهاء دورها الحربي إلى الأبد ، ولم يكن ذلك
ليتم إلا وفق عقيدة قتالية جديدة منبعها تشريعات الحرب وأسلوب القتال في
الاسلام .

(١) عروة بن الزبير : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

البلاذرى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٢٨٤ .

السهيلى : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٥٧١ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٦٥١ .

(٣) جواد على : المرجع السابق ، ح ٥ ، ص ٣٣٦ .

والمهم أنك لو كنت معاصراً لتلك الفترة ورأيت اليهود في خيبر يسرعون في السكك ، ويدخلون الماشية في الحصون . ويدربون الأزقة ، وينقلون الحجارة إلى داخل الحصون ، ويخزنون الطعام بكميات كبيرة ، ويعملون على توفير المياه وتأمين مصادرها ، ويشعلون النيران فوق الآطام ، ويحشدون العشائر والرجال ، ويصفون الصفوف ، ويكتلون الكتائب ، ويفردون حصوناً للذرائع والنساء ، ويشحنون الأبراج بالسلاح ، ويتصايحون بالشعارات ، ويحملون نسخاً من صحائف التوراة ، وقرسائهم معلمون ، يخطرون بالسيوف ، ويرتجزون الشعر ، ويدعون للمبارزة ، ويتحدون الخصوم ، فاعلم أنها الحرب !

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- (١) ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) :
« الكامل في التاريخ » ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، الجزء الثاني .
- (٢) البلاذري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) :
« أنساب الأشراف » ، ح ١ ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعار بمصر ،
١٩٥٩ م
- (٣) — « فتوح البلدان » ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ /
١٩٧٨ م .
- (٤) البكري (ت ٤٨٧ هـ / ١٩٤ م) :
« معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواقع » ، أربعة أجزاء ، تحقيق
مصطفى السقا ، القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .
- (٥) البيهقي (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) :
« دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة » ، ثمانية أجزاء ، تحقيق
عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٦) ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) :
« السيرة النبوية وأخبار الخلفاء » تحقيق السيد عزيز ، الطبعة الأولى ، دار
الفكر ، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

(٧) ابن حبيب (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) :

« المحبر » تحقيق ايلزة ليختن شتير ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٤٢ م .

(٨) ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) :

« المستدرج » شرح صحيح البخارى «مراجعة قصي محب الدين
مطبعة الانوار القاهرة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، الجزء الثانى .

(٩) ابن الجوزى (ت ٨٥٥ هـ / ٨٩٨ م) :

« سيرة النجاشي » تحقيق طه الحج ومعلم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ،
الرياض ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

(١٠) ابن الجوزى (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) :

« سيرة النجاشي » تحقيق احسان عباس وناصر الدين الأسد ، دار
الكتاب العربى ، بيروت .

(١١) الخنى (ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٥ م) :

« انسان العيون فى سيرة الأمين المأمون » المعروفة بالسيرة الحلبية ،
بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، الجزء الثانى .

(١٢) الحميرى (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م) :

« الروض المعطار فى خبر الأقطار » تحقيق احسان عباس ، بيروت
١٩٧٥ م .

(١٣) ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م) :

« العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، دار الكتاب اللبنانى ، الجزء الثانى .

- (١٤) ابن خياط (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) :
« تاريخ خليفة بن خياط » ، تحقيق أكرم العمرى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- (١٥) ابن دريد (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) :
« جمهرة اللغة » ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد ، الدكن ، ١٣٤٥ هـ ، الجزء الثالث .
- (١٦) الديار بكري (ت ٩٦٦ هـ / ١٥٥٩ م) :
« تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس » ، جزءان ، مؤسسة شعبان ، بيروت .
- (١٧) ابن الديبع (ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م) .
« حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ﷺ وعلى آله المصطفين الأخيار » ، تحقيق عبد الله ابراهيم الانصارى ، مطبعة الكتبي ، دمشق ، الجزء الثاني .
- (١٨) الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :
« المغارى » تحقيق محمد محمود حمدان ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (١٩) ابن الزبير (عروة ت ٩٣ هـ / ٧١١ م) :
« مغازى رسول الله ﷺ » ، جمع وتحقيق محمد الأعظمى ، الطبعة الأولى منشورات مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- (٢٠) الرنخشري (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) :
« الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .
الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

(٢١) ابن زنجويه (ت ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م)
« الأموال » ثلاثة أجزاء ، تحقيق شاكِر ذيب فياض ، الطبعة الأولى ،
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ
١٩٨٦ .

(٢٢) ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) :
« الطبقات الكبرى » ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الجزء الثاني .

(٢٣) ابن سعيد الاندلسي (ت ٦٨٥ هـ / م) :
« نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب » ، جزءان ، تحقيق نصرت
عبد الرحمن ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٢ م .

(٢٤) السمعاني (٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م) :
« الأنساب » في خمسة أجزاء ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، الطبعة
الأولى ، دار الحنان ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(٢٥) السمهودي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م) :
« وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ، في أربعة أجزاء ، تحقيق محمد محيي
الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، دار احياء التراث ، بيروت ،
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ .

(٢٦) السهيلي (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) :
« الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام » ، تحقيق عبد الرحمن
الوكيل ، القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، الجزء السادس .

(٢٧) السويدي (ت هـ / م) :
« سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب » ، الطبعة الأولى ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(٢٨) ابن سيد الناس (ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م) :

« عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير » ، دار المعرفة ، بيروت ،
الجزء الثاني .

(٢٩) ابن شبة (ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م) :

« تاريخ المدينة المنورة » ، أربعة أجزاء ، تحقيق فهم شلتوت ، دار
الأصفهاني للطباعة ، جدة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

(٣٠) الشيباني (ت ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م) :

« شرح كتاب السير الكبير » ، املاء محمد بن أحمد السرخسي ، تحقيق
صلاح الدين المنجد ، خمسة أجزاء ، مطبوعات معهد المخطوطات بجامعة
الدول العربية ، مطبعة شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ١٩٧١ م .

(٣١) الصالحى (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) :

« سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » ،

ح ٣ ، تحقيق عبد العزيز حلمي ، القاهرة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ ،
و ح ٤ ، تحقيق ابراهيم التزوي وعبد الكريم العزباوى ، القاهرة
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ،

و ح ٥ ، تحقيق فهم شلتوت وجودة هلال ، القاهرة ١٤٠٤ هـ /
١٩٨٣ م ،

و ح ٦ ، تحقيق ابراهيم التزوي وعبد الكريم العزباوى ، القاهرة
١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م .

(٣٢) الطبرى (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) :

« تاريخ الرسل والملوك » ، تحقيق محمد أبو الفضل اليراهيم ، الطبعة الأولى ،
دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م ، الجزءان الثانى والثالث .

(٣٣) الفيروزآبادى (ت ٨٢٣ هـ / ١٤١٥ م)

« المغام المطابة فى معالم طابة » ، تحقيق حمد الجاسر ، الطبعة الأولى ، منشورات دار الإمامة ، الرياض ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

(٣٤) ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) :

« زاد المعاد فى هدى خير العباد » تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، الطبعة الثالثة عشر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، الجزء الثالث .

(٣٥) ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) :

« السيرة النبوية » ثلاثة أجزاء ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٣٦) — : « البداية والنهاية » ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، الجزءان الثالث والرابع .

(٣٧) الكلاعى الأندلسى (ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م) :

« الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء » ، جزءان ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م .

(٣٨) العباسى (توفى فى القرن العاشر) :

« عمدة الأخبار فى مدينة المختار » تحقيق حمد الجاسر ، الطبعة الخامسة ، منشورات أسعد درابزوفى الحسينى ، المدينة المنورة .

(٣٩) ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) :

« الدرر فى اختصار المغازى والسير » تحقيق شوق ضيف ، الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٤٠) أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م) :
« كتاب السلاح » تحقيق حاتم صالح الضامن ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(٤١) — : « الأموال » ، تحقيق محمد خليل هراس ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

(٤٢) المراغى (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م) :
« تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ، الطبعة الثانية ، المدينة المنورة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(٤٣) ابن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) :
« لسان العرب المحيط » تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف بمصر .

(٤) المقرئى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :
« امتاع الاسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع » ، الجزء الأول ، تحقيق محمد التيسى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(٤٥) ابن النجار (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) :
« أخبار مدينة الرسول ، المعروف باسم الدرة الثمينة فى أخبار المدينة » ، تحقيق صالح محمد جمال ، الطبعة الثالثة ، مكة ١٩٦٦ م .

(٤٦) النويرى (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) :
« نهاية الأرب فى فنون الأدب » ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، الجزء السابع عشر .

- (٤٧) ابن هديل (توفي في أواخر القرن الثامن)
« حلية الفرسان وشعار الشجعان » تحقيق محمد عبد الغنى حسن ، دار
المعارف بمصر ١٩٥١ م .
- (٤٨) ابن هشام (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) :
« السيرة النبوية » تحقيق مصطفى السقا وآخران ، دار احياء التراث
العربى ، بيروت . الجزءان الثالث والرابع .
- (٤٩) الهمدانى (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م) :
« صفة جزيرة العرب » تحقيق محمد بن على الأكوع ، الرياض ،
١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- (٥٠) الواقدي (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) :
« المغازى » ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت ،
١٩٦٥ م .
- (٥١) ياقوت (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) :
« معجم البلدان » خمسة أجزاء ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧ هـ /
١٩٧٧ م .
- (٥٢) اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٦ م) :
« تاريخ اليعقوبى » ، جزآن ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٧ م .
- ثانياً : المراجع
- (٥٣) الأفغانى (سعيد) :
« أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام » ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ،
بيروت ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

- (٥٤) الألوسي (محمود) :
« بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الجزء الثالث .
- (٥٥) باشميل (محمد أحمد) :
« غزوة خير » ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- (٥٦) الجاسر (حمد) :
« في شمال غرب الجزيرة » ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ .
- (٥٧) جروهمان (أدولف) :
« خير » مقال بدائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت وآخرون ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ، الجزء التاسع .
- (٥٨) جهادية القره غلى :
« العقلية العربية في التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٩٨٦ م .
- (٥٩) جواد على :
« المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- (٦٠) جيلمور : (مايكل) وآخرون :
« تقرير مبدئي عن مسح المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية » ، اطلال (حولية الآثار العربية السعودية) ، العدد السادس ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٦١) حسن ظاظا والسيد عاشور :
« شريعة الحرب عند اليهود » ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- (٦٢) خليف (يوسف) :
« الشعراء الصعاليك » ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٨ م .

- (٦٣) الدقدوقى (وفیق) :
 « الجندية فى عهد الدولة الأموية » ، الطبعة الأولى ، بيروت ،
 ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥ م .
- (٦٤) زيات (حبيب) :
 « اليهود فى الخلافة العباسية » ، مجلة المشرق ، السنة السادسة والثلاثون ،
 بيروت ، ١٩٣٨ م .
- (٦٥) زيدان (جورجى) :
 « تاريخ تمدن الاسلامى » ، الطبعة الثانية ، منشورات دار مكتبة الحياة ،
 بيروت .
- (٦٦) سيف الدين سعيد :
 « الحركات العسكرية للرسول الأعظم فى كفتى الميزان » ، الطبعة
 الأولى ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، الجزء الثانى .
- (٦٧) شنودة (زكى) :
 « المجتمع اليهودى » الانجلو المصرية القاهرة (بدون تاريخ) .
- (٦٨) عبد الرؤوف عون :
 « الفن الحرى فى صدر الاسلام » ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م .
- (٦٩) عبد الرحمن زكى :
 « الحرب عند العرب » ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧ م .
- (٧٠) عوض الشهرى :
 « مرويات غزوة خير » ، جمع وتحقيق ، رسالة ماجستير ، غير
 مطبوعة ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٨٠ م .
- (٧١) فؤاد حسنين :
 « المجتمع الاسرائيلى حتى تشريده » ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

(٧٢) فاروق عمر فوزى :

« الرايات وشعارات الحرب عند العرب في صور الاسلام » موسوعة الجيش والسلاح ، بغداد ، ١٩٨٨ م ، الجزء الرابع .

(٧٣) مهران (محمد ييومي) :

« دراسات في تاريخ العرب القديم » الطبعة الثانية ، مطابع جامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(٧٤) ولفنسون (اسرائيل) :

« تاريخ اليهود في بلاد العرب » ، القاهرة ، ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م .

رقم الايداع ٥٧٧٠ / ٨٩